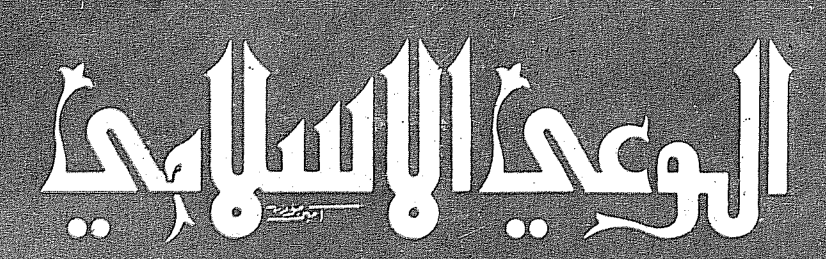


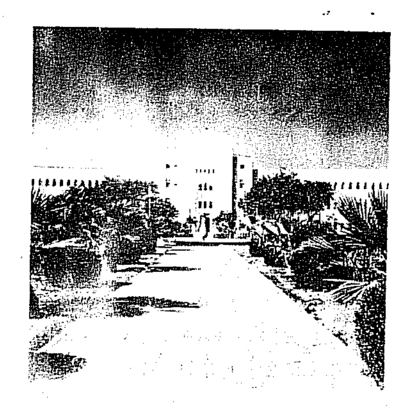
السنة الرابعة — العدد الحادي والاربعون — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ — ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٨ م





اقامت اللجنة الهندية للقضايا العربية فى ه حزيران (يونيو) الماضى مؤتمرا بمناسبة مرور عام على الاعتداء الاسرائيلى ، وفى الصورة العليا مستر كرانجيا رئيس تحرير مجلة بلتز يلقى كلمة بهذه المناسبة ، وتحتها مستر كريشنا مينون يلقى كلمته .. ونحن نقدر كل صوت يقف مع قضيتنا العادلة ، ونأسف فى الوقت نفسه للموقف الذى وقفه رئيس رابطة شباب السيخ فى الهند حين اهدى الوزير الاسرائيلى سيفا لتقديمه الى موشى دايان تقديرا لبطولته !!

صورة الغلاف



مدرسة الشـــويخ الثانوية أول وأضخم مدرسة بالكويت ، افتتحت الدراسة فيها سنة ١٩٥٣ ، وهى تقوم على مساحة واســـعة تشمل أماكن الدراسة ومســاكن الطلاب والاساتذة وقاعة للمحاضرات وناديا وحماما للسباحة وساحات لمختلف أنواع الرياضة ، وهى تطل على الخليج .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى والاربعون

ــ الســـــنة الرابعة ــ

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٨ هـ

٢٦يوليـــو « تمـــوز » ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياســـية

الثمن

الكويت	٥٠ فلســا
السعودية	١ ريـال
العــراق	٧٥ فلســا
الاردن	٥٠ فلســا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلســا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشــا
مصر والسودان	٤٠ مليمــا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويــت ١ دينــار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راســا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة
ص. ب ١٣ هاتــف ٢٢٠٨٨
الكويــت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

قبل ان تبدو امام الراى العام العالمى ظاهرة التمرد العالمية لطلاب الجامعات كتبت حديثى اليك عن : « ابنائنا وبناتنا » وعن ظاهرة التمرد التى يشكو منها الآباء والمربون ، وتناولت فى حديثى بعض الأسباب التى شاركت وتشارك فى صنع هذه الظاهرة فى مجتمعاتنا . .

وتوجيه الشباب واعدادهم هو — كما قلت — : « ليس امر صفقة تجارية تربح أو تخسر ، أو زرعة تنمو أو تبور ، وانما هو امر الجيل القادم ، الذى سيأخذ على عاتقه مسئوليات هذه الأمة ، ويعطيها من نفسه ما يجدد شخصيتها وملامحها ، وما يصلها بتراثها وامجادها ، ويحفظ عليها كيانها . . » .

لذلك ارى من الضرورى أن أتحدث معك الآن ايضا عن هذا الأمر المهم الفاصل فى مصير امتنا . .

ولقد قلت فى حديثى الماضى كلاما احب ان اضعه امام القارىء هنا للمرة الثانية . .

« ليس من المقبول ان يسمع الابن فى البيت من التوجيه الدينى والخلقى ما يجده موضع استخفاف فيما يقرؤه لبعض الكتاب ، أو يراه فى بعض التمثيليات والأفلام » .

« وليس من امانة الرعاية التى وضعها الله فى عنق الحكام أن تترك أية حكومة اسلامية فى اى بلد اسلامى الجيل الجديد من أبنائها نهبا سائغا لبعض الموجهين ، الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه » .

« ليس مقبولا ان نسمع من القادة حرصا على أخلاق الأمة ، وتكوين جيل سليم الخلق ، ثم نرى معاول الهدم تنهال تحت سمعهم وبصرهم على أخلاق الأمة وبنيان الشباب » .

ولم أكن فى هذا الكلام اعبر عن راى شخصى فحسب ، ولكنى كنت اعبر عن رأى عام يلح فى فرض نفسه على حياتنا لتسير سيرتها الطبيعية ، ولكنه يجد الصدود والاهمال ، ان لم تكن المعارضة الصريحة أو المتسترة . .

ودعونا نتصارح فان الأمر امر امة لا امر اشخاص ، يحكمون زمنا ، ثم يطويهم التاريخ فى سجلاته ، كما طوى الكثيرين من قبلهم ، ومن مصلحتهم أن تكون ذكراهم حديثا حسنا لمن وعى . .

ان الأمة لا تصدق ابدا اى انسان يعلن حرصه على مصلحتها وعلى رقيها ونهضتها ، فى الوقت الذى يهمل فيه — او يعارض — تغلغل الروح والتعاليم الدينية فيها . .

ويخدع نفسه ، ذلك الذى يظن ان سكوت الأمة عن اهمال هذه الروح ،

او الوقوف فى وجهها ، يعبر عن رضاها وموافقتها ..
ويخدع نفسه كذلك ، ذلك الذى يظن أن هناك بديلا عن الروح الدينية يكون له الأثر المطلوب فى رقى الأمة ونهضتها ، وتماسكها فى رخائها وشدتها ..
يخدع نفسه ، ويضيع وقته ووقت أمته ، ويشوه تاريخه ..
لأن هذه الأمة لم تجتمع الا بالدين ، ولم تنهض الا بالدين .. ولا يمكن أن تنهض وتجتمع الا به ..
ورحم الله العلامة ابن خلدون الذى عنى بهـذه الحقيقة ، وأبرزها ، حين قال فى مقدمته على طريقته التحليلية فى فصل جعل عنوانه « العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم من الدين بالجملة » :
« والسبب انهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة ، وبعد الهمة ، والمنافسة فى الرئاسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم . فاذا كان الدين بالنبوءة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشـملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بامر الله ، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم لاظهـار الحق ، تم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك . وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق » .
وابن خلدون فى هذا يمزج ايمـانه العميق ، بعلمه الدقيق ، ومعرفته النفسية بالطبائع والنفسيات ، ويصل الى هذه النتيجة .
ونحن نعرف أن الدين اقوى وسيلة للتجمع ، سواء أكان القوم عربا أم غير عرب ، نعرف هذا ونؤمن به افرادا وجماعات ، الا شواذ تنفيهم طبيعة أمتهم .. وان كانت هـذه المعرفة ـ مع الأسف ـ قد حال بينها وبين الخروج الى عالم الواقع ، غشاوة على القلوب ، ورخاوة فى العزائم ..
ولهذا رحبت كثيرا بما جاء فى تقرير اللجنة الوزارية التى تألفت فى مصر ، لبحث طرق الاصلاح فى الدولة ، وهى تقول تحت عنوان : « دعم القيم الروحية والخلقية » :
« ان غرس المثل العليا والقيم الخلقية فى نفوس المواطنين يعين على تحقيق كل أسباب النهوض والارتقاء بالشعب ، نحو ما نبتغيه له من أمن وسـعادة ورخاء . والسبيل الى ذلك :
١ ـ الاهتمام بالتربية الدينية فى دور التعـليم فى مرحلته العامة ، حتى نخلق لدى الناشئين الوازع لأداء الواجب ، واستعذاب الاستشهاد ، دفاعا عن الوطن ، وتحصينهم من كل صنوف التحلل والانحراف ، على أن يجرى تدريسها باسلوب يربط بين الدين والواقع الاجتماعى والحياة العلمية العصرية ..
٢ ـ منع تداول كتب الاثارة الجنسية التى توجه اهتمامات الشـباب نحو

المفاسد والغرائز الدنيا ، واحكام الرقابة على الأفلام السينمائية والتليفزيونية التى تقدم صورا من الانحرافات ، ونماذج من البشر ، تؤثر تاثيرا ضارا فى تشكيل المواطنين ، وتوحي اليهم بتصورات وتصرفات ، تنطوى على الابتذال والاستهتار ، مما قد يصل احيانا الى مرتبة الاجرام)) .

وهذا الذى قررته اللجنة الوزارية يتلاقى فى جملته مع ما سبق أن قلته ، ولفت الأنظار اليه فى حديثى الماضى .. وان كنت لم أسترح الى ما ذكرته اللجنة من قصر (التربية الدينية فى دور التعليم على مرحلته العامة) لأن التربية الدينية يجب أن تنمو مع نمو التلميذ حتى يصل الى أعلى المستويات فى تلقيه العلم .. لأن لكل دور ما يناسبه من معلومات وتوجيهات .. والتلميذ فى مرحلة التعليم العامة قد لا يصل الى المستوى الذى يمكن أن نعرض عليه ، أو نناقش معه القضايا العامة للاسلام كطالب الجامعة ، الذى يتفتح ذهنه ، وتكثر المشكلات أمامه ، ويطلع على نظريات وشبهات ، ويحتاج الى شرحها ، أو ازالتها .. وهو فى هذه المرحلة يكون اشد حاجة الى فهم دينه ومبادئه فى الحياة أكثر من حاجة التلميذ فى المرحلة العامة ..

فكيف نتركه اذن فى هذه المرحلة الخطيرة من تفتح الذهن ، وتكون الشخصية ، هدفا سهلا لحملات التشكيك والتضليل ؟

ومن اجل هذا سررت بما جاء فى توصيات اللجنة الوزارية المشكلة لاعادة النظر فى مناهج وكتب التربية الدينية ، على ضوء ما اقترحته لجنة الاصلاح ، من **ضرورة العناية بتدريس مادة الدين : منهجا واستاذا ، فى جميع مراحل التعليم بما فيها الجامعات والمعاهد العليا** ، لأن هذا هو الذى يتفق مع طبيعة الاصلاح المنشود ، ان كنا جادين فعلا فى هذا الاصلاح ..

على أن الأمر ليس أمر تقرير يوضع ، أو لجان تتخذ قرارات أو توصيات ، أو أمر بلد اسلامى دون بلد آخر ..

بل ان الموضوع ليس موضوع دراسة الدين فى المدارس والجامعات ، والوقوف عند هذا الحد ..

لا .. ان الموضوع الذى يجب أن يأخذ منا اهتمامنا وعنايتنا هو أن تلتزم الدولة باتجاه اسلامى ، لا فى تدريس مادة الدين وحسب ، بل فى كل تصرف .. وقرار .. وعمل .. بحيث يكون مظهرا عاما للدولة ، وخطة تحرسها من الخدش ، وتغار عليها من العبث ، كما نرى فى بعض الدول المذهبية التى تتخذ لها مذهبا فى الحياة ، تجعل ولاءها كله له .

يجب أن يكون لدى الحكومات الاسلامية كلها منهج اسلامى واضح ، تتقيد به ، ويقوم على الولاء الفعلي — لا القولي — للاسلام ، بقدر ما تمكننا منه الظروف ، التى لا نستطيع التغلب عليها أحيانا ..

اننا لا نطلب من الحكومات — وهى صاحبة السلطة القادرة على التنفيذ —

ان تخضع — فورا — كل شيء فيها ، وكل مرفق من مرافق الحياة عنـــدها ، لتعاليم الاسلام ومبادئه ، لأننا بذلك نكون متعنتين ، وغير مقدرين ، ولا بصيرين بالحياة وظروفها . .

ولكنا نريد ونطالب ، ونلح في المطالبة بولائها الفعلى للاســـلام ، وتحديد اتجاهها نحوه ، ثم تسير في هذا الاتجاه ، تنفذ وتطبق ما تستطيع تطبيقه وتنفيذه — وهو كثير — وتأخذ مع ذلك في تهيئة الجو لتقــدم أكثر في مجــال التطبيق والتنفيذ . .

اننا ندرك الصعاب التي تعترض طريق الاسلام في بلاد الاســلام ، والتى هى — مع الأسف — من صنع أهله وغير أهله !!

ولسنا تجار كلام ، أو تجار دين ، ولسنا ممن يهوون وضع الألغام في طريق العاملين .

ولكنا مع ايماننا العميق بالاســـلام ، وقدرته على صنع الحياة الفاضلة الناهضة الراقية المنتجة ، نؤمن بأن التدرج في الاصلاح يفرض نفسه أحيانا ، ويــكون ضرورة لا بد منها ، كضرورته في علاج المريض ، وأنه كان — لذلك — الطريق الالهى الحكيم لارساء دعائم الاسلام ، وفرض تعاليمه في بيئته الأولى ، ولسنا في ذلك مبتدعين بل متبعين ، ولسنا متهاونين بل حريصين .

ويكفينا شاهدا ومساندا . . ما رواه الامام الشــاطبى في الموافقات عن خامس الخلفاء الراشدين ، الخليفة الزاهد الورع : عمر بن عبد العزيز ، وقد جاءه ابنه عبد الملك يقول له — في حماس المؤمن المخلص :

« مالك لا تنفــذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي لو أن القــدور غلت بى وبك في الحق » .

فقال له أبوه الخليفة الورع :

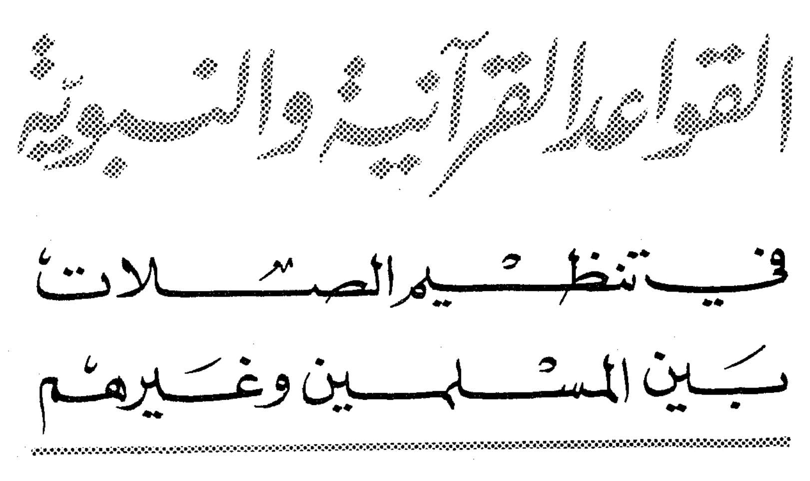
« لا تعجل يا بني ، فان الله ذم الخمر في القــــرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » . مع الفرق الشاسع بين أيامنا وأيامه .

أومن بهـــذا — ولو أنه قد لا يرضى بعض المتحمسين — لأنه هو طريق الاصلاح الســـليم في ظروف كظروف مجتمعنا الذى ابتعد كثيرا في حياته عن تعاليم الاسلام وروحه ، وارتبط بغيره في أعماله وأفكاره . .

ولأننى أعتقد أننا بهـــذا نفتح الطريق لمن يريد أن يعمل ، ويبرهن على اخلاصه وحسن نواياه . .

والله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .

مدير ادارة الدعوة



للأستاذ : محمد عزة دروزة - دمشق

فى كتاب الله وسنة رسـوله نصوص كثيرة تلهم قواعد عديدة فى تنظيم صلات المسلمين بغيرهم . فيها من الانصاف والحق والروعة ما يعد من مرشحات الاسلام للشمول والخلود .

والمستلهم منهما أن غير المسلمين بالنسبة للمسلمين أربع فئات . وهى : الأعداء . والمسالمون . والمعاهدون . والخاضعون .

صفات الفئة الاولى وواجب المسلمين ازاءهم :

والأعداء هم الذين يقـاتلون المسلمين . ويكيدون لهم . ويطعنون فى دينهم ، ويصدون عن الدعوة اليه ، ويمنعون حرية التدين به ، ويفتنون المسلمين عنـه ، ويظلمون المستضعفين منهم ، وينكثون ايمانهم وعهـودهم معهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويبيتون لهم الغـدر والخيـانة ، ويظاهرون عليهم أعداءهم ، ويتآمرون عليهم معهم ، ويضيقون عليهم حتى يخرجوهم من ديارهم ، ويعتدون على أموالهم وأعراضهم ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسـوله ، ولا يدينون دين الحق على ما جاء فى آيات سـورة البقرة ١٩٠ — ١٩٤ و ٢١٧ وسورة النساء ٧٢ — ٧٦ و ٩١ و ٩٤ — ١٠٤ وسـورة الأنفال ١٥ — ١٦ و ٣٨ — ٤٠ و ٥٥ — ٦٠ وسـورة التوبة ١ — ١٥ و ٢٩ والحج ٣٩ — ٤١ ومحمد ١ — ٤[1] .

فكل من فعل واحدا من هذه الأفعال أو أكثر ، وجب على المسـلمين قتاله ومطاردته ، بدون هوادة ولا تهاون ، وبكل وسـيلة ، وفى كل ظرف وموقف ،

(١) اكتفينا بذكر أسماء السور وأرقام الآيات لأن حجم المقال والمجلة لا يتسع للنصـوص . ويحسن بالقارىء أن يقرأ الآيات من المصحف أثناء قراءته المقـال حيث يجعله ذلك أكثر استيعابا للموضوع .

ولو كان فى المسجد الحرام ، والشـــهر الحرام ، الى أن ينتهى من موقفه ويدين بالاسلام أو يخضع للسلطان الاسلامى ، ويؤدى اليه الجزية ، أو يقوم بينه وبين المسلمين عهد صلح ، واذا دان بالاسلام أصبح أخا للمسلمين ، وغفر له ما قد سلف . على ما جاء فى الآيات المذكورة .

ونعتقد أن أوصاف العـــدو المذكورة التى هى من موجبات القتـــال فى الاسلام تحسم الجدل الذى يثور أحيانا بين الباحثين فى حد الجهاد الاسلامى . فالقول بأنه للدفاع والمقابلة بالمثل صحيح ، اى أنه ليس قاصرا على سبب قتال الكفار للمسلمين فعلا . بل انه واجب وســـائغ ازاء كل فعل وموقف آخر من الأفعال والمواقف التى عددناها غير القتال الفعلى ، وكل منصف عاقل لا يمكن الا أن يرى كل موقف وفعل من هذه المواقف والأفعال موجبا للقتال حتما الى أن ينتهى صاحبها منها .

ولقد روى الخمسة الا البخـــارى عن بريدة قال : ((كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصـــاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : اغزوا باسم الله فى ســـبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصـــال ، فأيتهن مما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاســـلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دراهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم ، فان أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المســـلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجـــرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان أبوا فسلهم الجزية . فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاســـتعن بالله وقاتلهم . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذلك ، واجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله فلا تقبل منهم ، ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا[1])) .

والحديث يصف الذين كان يســـير النبى صلى الله عليه وسلم جيوشه وسراياه اليهم بصفة (عدوكم من المشركين) تلك العداوة التى يكون اتصف بها بأحد الافعال التى ذكرناها .

أما العدو من أهل الكتاب فآية ســـورة التوبة هذه : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) (آية ٢٩) قد احتوت موجبات قتالهم والكف عنهم فى حالة عدم اعتناقهم الاســـلام اذا خضعوا للمسلمين وأدوا الجزية . وحرف (من) التبعيضى فى الآية يجعل أمر قتال أهل الكتاب خاصا بطوائف منهم تتصف باحدى الصفات المذكورة فيها . . وقد أول بعض المؤولين من أصحاب رسول الله وتابعيهم هذه الصفات بأنها فى

---

(١) ظاهر أن النبى صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن اعطاء ذمة الله ورسوله وانزالهم على حكم الله محتاط لئلا يبدو من المســـلمين ما يناقض ذلك فيقعوا فى الحرج ازاء الله ورســـوله وازاء أعدائهم . وفى هذا ما فيه من حكمة سياسية باهرة .

صدد بيان انحراف هذه الطوائف عما حرمه الله عليهم ورسله وكتبه اليهم وعدم اعترافهم بالحق لأهله ، وعدم التزامهم به مع عدم الايمان الصادق بالله واليوم الآخر . وهذه الصفات يمكن أن لا تكون صفات أهل الكتاب جميعهم . وهذا تأويل سديد يكون به الطوائف المأمور بقتالها اعداء للمسلمين . ومن تحصيل الحاصل أن يقال مع هذا ان الآيات التى تعدد الصفات والمواقف التى توجب قتال من يتصف بها تنسحب على الكتابيين أيضا . وقد يلمح ذلك فى آية التوبة .

فرضية القتال :

وقتال الأعداء فرض صريح فى القرآن كما جاء فى آية سورة البقرة هذه (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢١٦) وقد انطوى فيها تعليل قوى نافذ الى القلوب والعقول . ولقد روى أبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا . والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر) .

والحديث ذو مغزى عظيم ، وحكمته بالغة ، فلا يصح لمسلم أن يتحجج بأية حجة للتهرب من الفرض الواجب عليه . وفى سورة التوبة آيات مهمة جدا فى بابها وهى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير . .) (٣٨ ــ ٣٩) .

وجمهور العلماء يصفون فرض الجهاد بأنه فرض كفاية اذا قام به بعض المسلمين سقط عن باقيهم . استنادا الى بعض الآيات والأحاديث . من ذلك آية سورة التوبة هذه : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١١٢) ومن ذلك حديث رواه الخمسة عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (اذا استنفرتم فانفروا) .

وقد يكون القول متسقا مع طبائع الأشياء . فليس من الضرورى ولا من المعقول أن يشترك جميع المكلفين من المسلمين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ فى الجهاد كما هو الأمر فى الصلاة والصيام . غير أن هذا لا ينبغى أن يعنى ولا أن يوهم أن قوة فرض الجهاد أخف من قوة فرض الأركان الأخرى . فضلا عن خطر أثره فى حياة المسلمين الخاصة والعامة الذى يفوق أثر الأركان الاخرى فى هذه الحياة . وكل ما هناك انه ركن اجتماعى وليس ركنا شخصيا . فاذا دعت الحاجة اليه لغاياته المقررة وجب على المسلمين المكلفين من رجال ونساء وفتيان وشيوخ أن يقوموا بواجباتهم بالقدر الذى يكفى لتحقيق الغاية سعة أو ضيقا ، وكل حسب ما يستطيع على اختلاف وجوه الاستطاعة ؛ مع فضل عظيم يقرره القرآن للمجاهد على القاعد اذا كانت الحالة تسمح له بالقعود ، ولم يكن قعوده تهربا من واجب الجهاد على ما جاء فى آية سورة النساء هذه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة

وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القــــاعدين أجرا عظيما)
فاذا قصروا عن ذلك القدر الكافى أثم المقصرون والمتقاعسون اثم عدم القيـام
بفرض خطير من فروض الدين وأركانه ، فضلا عما لتقصيرهم من آثار خطيرة فى
حياتهم العامة والخاصة .

ولقد كان بعض المسلمين ومرضى القلوب والمنافقين يتقاعسون عن النفرة
الى الجهاد ، ويثبطون ويبطئون ويعوقون عنه ، ويعتذرون بالأعذار الواهية ،
فكانت تنزل الآيات القرآنية بالتنــــديد بهم ، وفضــــحهم بأســــلوب قارع
قاصم مما هو مبثوث فى سور عديدة منها آيات سورة النساء ٧٢ — ٨٣ و ٩٧
وسورة الأنفال ٥ — ٨ وسورة التوبة ٣٨ — ٧٣ و ٨١ — ٩٦ و ١٢٠ — ١٢١
وسورة الأحزاب ٩ — ٢٥ وســـورة محمد ٢٠ — ٢٣ و ٣٧ و ٣٨ وســــورة
الصف ٢ — ٤ .

وبالاضــــافة الى هــذه الآيات القارعة القاصـــــمة فى حق المتقاعسين
والمتباطئين والمعوقين والمعتذرين بالاعذار الواهية ففى القرآن آيات كثيرة فيها
حث على الجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله ، وتنويه بالمجاهدين ، وتبشير لهم
بالنصر ، وايذان للمسلمين بأنهم باسلامهم قد باعوا أنفسهم وأموالهم لله مقابل
الجنة ليقتلوا ويقتلوا ، وتبشير للشهداء . وتصــــبير للمســــلمين على مكاره
القتال . وتنبيه الى انه لا يقدم الأجل ، وأن التخلف عنه لا يؤخره . وتقرير بأنه
عنوان على صدق ايمـــــان المسلم واخلاصه لدينه ، كما جاء فى آيات البقرة
١٥٣ — ١٥٧ و ١٩٠ — ١٩٥ و ٢١٨ وآل عمران ١٣٩ — ١٤٨ و ١٥٧ و ١٦٩
— ١٧٨ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٠٠ والنساء ٧١ — ٧٩ و ١٠٠ و ١٠٤ والمائدة ٥٤
والأنفال ٦٠ و ٦٥ و ٦٦ والتوبة ١ — ١٥ و ١٩ — ٢٤ و ١١١ ، ١١٩ — ١٢٣
والأحزاب ٢٢ — ٢٣ والصف ١٠ — ١٤ حيث يبدو من ذلك العناية العظمى التى
أعارها القرآن لهذا الفرض الخطير . وحكمة ذلك واضحة . فهو السبيل الأمثل
والأوحد لحماية الاسلام والمسلمين وضمان الحرية والعزة والكرامة لهم ، وردع
أعدائهم وارهابهم اذا ما اقتضته الظروف .

ولقد أثرت أحاديث نبوية عديدة متساوقة مع ما احتوته الآيات . من ذلك
حديث رواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة جاء فيه (والذى نفسى بيده لوددت
أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل) .

وحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة أيضا عن النبى صلى الله
عليه وسلم (لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب)

وحديث رواه الخمسة جاء فيه (سئل النبى صلى الله عليه وســـلم أى
الناس افضل ؟ قال مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله) .

وحديث رواه البخارى والنسائى والترمذى جاء فيه (ما اغبرت قدما عبد
فى سبيل الله فتمسه النار) .

وحديث رواه مسلم وابو داود جاء فيه (من مات ولم يغز ولم يحــدث به
نفسه مات على شعبة من نفاق) .

وحديث رواه الخمسة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما
من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع الى الدنيا وأن له الدنيا وما فيهـــا
الا الشهيد لما يرى من فضل الشـــهادة . فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل

مرة أخرى) وفي رواية (غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

وحديث رواه ابو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان أو فاجرا) .

وحديث رواه أبو داود ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، فقال قائل ومن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

نقاط يحسن عرضها وتجليتها فى هذه المناسبة :

١ — فى سورة محمد هذه الآية (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . .) والآية تفيد أن قتال الأعداء ليس للابادة ، وانما هو للارغام والقهر ، وجعل الأعداء عاجزين عن الأذى ، وأن من واجب المسلمين أن يكفوا عن قتلهم اذا ما تم ذلك .

٢ — فى سورة الأنفال هذه الآية (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) والآية تفيد أن من واجب المسلمين أن يجنحوا للسلم والصلح اذا ما جنح اليهما العدو ويكفوا عن قتاله . ويأتى بعد هذه الآية آية ذات مغزى بعيد فى بابها وهى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله . .) حيث تفيد أن ما يمكن أن يرد على البال من احتمال كون جنوح العدو للسلم خداعا أو كسبا للوقت ينبغى أن لا تمنع مقابلة جنوحه للسلم بالمثل .
والآيات تفيد أولا : ان القتال ليس لاجبار العدو على الاسلام . وثانيا : انه ليس غاية وانما هو وسيلة فاذا تحققت غايته وهو منع أذى العدو حصل المقصود .

وهناك من قال ان الآيات منسوخة . ونحن نتوقف فى هذا . فليس هناك حديث وثيق يفيد ذلك أولا ، وثانيا ان النبى صلى الله عليه وسلم ظل يعمل بها طيلة حياته . ومن ذلك الصلح الذى عقده مع قريش المعروف بصلح الحديبية . ومن ذلك ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا . . » وهذه (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) وسورة التوبة من آخر ما نزل من القرآن .

استدراك مهم . .

ومن الواجب أن نستدرك أمرا فى مسألة الصلح . فهذه انما تنطبق على عدو له وجود وكيان وبلاد يعيش فيها قبل أن يصبح عدوا للمسلمين . أما اليهود فى فلسطين فانهم لم يكن لهم فيها وجود وكيان ، وانما جاءوا اليها من بلاد اجنبية مختلفة غزاة ، وساعدهم طواغيت الاستعمار ، فاغتصبوها بالنار والحديد من أهلها المسلمين والعرب ، وأقاموا عليها دولتهم بعد أن قاتلوا العرب ، واقترفوا معهم كل جريمة ، وسفكوا دماءهم ، وهتكوا أعراضهم ، وقتلوا أطفالهم ونساءهم وشيوخهم ، ومثلوا بهم أبشع تمثيل ، ودنسوا مقدساتهم ، وشردوهم عن مواطنهم ، واستولوا على أموالهم وأملاكهم . ولذلك

فان مقابلة جنوحهم الى السلم لا تجب على المسـلمين ، لأنهم انما يفعلون ذلك على أساس احتفاظهم بما اغتصبوه من وطن المسـلمين وأموالهم وأملاكهم وبدولتهم التى أقاموها على أنقاضهم .

وهم فى موقفهم هذا صاروا أشد أعداء العرب والمسلمين . وظهرت بذلك معجزة القرآن مرة أخرى بعد أن ظهرت فى زمن النبى صلى الله عليه وسـلم بوصفه اياهم بأشد الناس عداوة للذين آمنوا .

وصار من واجب جميع المسلمين أن يقاتلوهم بكل قوة وشـدة ، وبدون هوادة ولا تهاون ، حتى ينتقموا منهم ، ويشتتوا شملهم ، ويقوضـوا دولتهم ، ويسـتردوا أموالهم وأراضيهم ، ويطهروا الأرض من رجسهم ، ويعيدوا لها صبغتها العربية الاسلامية . وكل تهاون فى ذلك وتخاذل عنه ، وتسامح فيه ، اثم عند الله عظيم ، وخطر على الاسلام والمسلمين وبلادهم جسيم .

٣ — **وفى سورة البقرة هذه الآية** (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) وفى سورة الأنفال هـذه الآية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سـبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . حيث ينطوى فى الآيات تلقين عظيم المدى بوجوب بذل المال المقتضى لاعداد القوة على انواعها ، وبأوسع قياس يمكن ، لأن ذلك من شأنه أن يرهب الأعداء المعروفين وغير المعروفين ، وقد يغنى عن القتال الذى هو وسيلة لا غاية . وبأن التقصير فى ذلك مؤد بالمسـلمين والاسـلام الى التهلكة . .

٤ — **فى سورة النساء هذه الآيات :** (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل اللله فيقتل أو يغلب فسـوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سـبيل الله والمسـتضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) ثم هذه الآيات أيضا (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وسـاءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسـعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسـوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) وفى هذه الآيات موقف من نوع خاص وهو غير موقف المسلمين الذين لهم مكان وكيان ازاء أعداء لهم مكان وكيان كما هو واضح . فهى توجب على المسلمين الذين يكونون تحت سلطان غير مسلم ، يقف منهم موقفا ما من مواقف العدوان المذكورة ، قبل هذا — أن يتمردوا عليه ويقاتلوه بأية وسيلة ، ولو بالخروج من أرضه لايجاد الوسيلة الى قتاله وارغامه . وتندد بالذين يحتجون كذبا بالضعف وعدم القدرة(١) .

((للبحث بقية))

---

(١) كما تندد بالمسلمين الآخرين الذين لا يمدون يدهم للمستضعفين من اخوانهم ولا يساعدونهم فى محنتهم التى يقاسونها تحت هذا العدو الباطش به والآيات بذلك تتمشى مع منطق الاسلام الذى يجعل المسلمين جميعا جسدا واحدا .. يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

((الوعى))



للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ لو تتبعنا أخطاءنا فى هذا العصر ، فى تلك الحقبة التى نعيشها ، فى الفترة القصيرة التى مرت بنا ــ ومهما طـالت الفترات فهى قليلة فى عمر الزمان ــ اقول لو تتبعنا ما وقعنا فيه من مخالفات على بساط الواقع البحت ، لألفيناها تربو على الحصر ، وتتجاوز العد ، وان هذه النتائج لهى جنى مقدمات لم نحضر زمانها ولا اجدادنا وانما تضرب فى غور الزمان الى مدى بعيد(١) ، فالأمة العربية لسانا ونسبا وموقعا ، قد حملت أمانة لم تطق حملها السموات ولا الأرض ، ومضت بها هينة لينة تسوس الدنيا وتحكم أواصرها ، ونمت فى ظلها حضـارات ، وبرزت فى العلوم اسماء وأسماء ، وخلدت على ضوء المعرفة الحقة نتائج عقول وعقول ، وكانت ذات أثر فعـال فى تطور الفكر الانسـانى ونموه ، وانتقاله من مرحلة الى اخرى أرفع شأنا واعز مكانا ، وشواهد ذلك لا تحصى ، ولا تحتاج الى شاهد من أهلها ، فقد بنيت على أساسها معـارف جديدة ، **وكانت مرحلة لا بد منها لكي تصل المعرفة الى ما وصلت وما ستصل اليه من تقدم وازدهار ورقي واضطراد نمو .. فلك كان(٢) .**

٢ ــ ... ومع هذا بدأ المسيطرون على الأمور يلعبون على غير المسرح الحقيقى ، وناديهم لم يوصد ، ولم يمنعوا عنه ولم يذادوا عن حوضه ، مكان فسيح ، وناد مريح ، وعطاء وافر ، وبحر فيضه زاخر ، وقف الأبناء فى زماننا والأجداد فى زمانهم على السلم لا نزلوا ولا صعدوا ، تركوا الماضى وراءهـم ظهريا ، فلم يصيخوا له سمعا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وغفلوا عن الآتى ، عن الغد الذى يلاحقهم فلم يعدوا لمفاجآته عدة ، وصاروا نارا يأكل بعضها بعضـا ثم يحور الجميع رمادا ! هذا .. فى اللحظات التى عاصرهم فيها وعاش قبلهم وجاء من بعدهم ، من حمل حقد الدنيا مجتمعا عملا وقولا وبناء وجدا ومذاكرات، مال يرصد ، وجمعيات تجمع شتات الرءوس الخربة(٣) لتتخذ مدرجا وسلمـا

---

(١) والعيب فينا اننا نكررها هي هي محورة بما يتناسب مع زمان وقوعها ، وضمير الجمع يشمل حملة الشريعة جميعا وكل مسلم من حملتها ومسئول عنها ، وان تنصل هنا فسوف لا يجد حجة تنفعه هناك .

(٢) ونامل ان يعود .

(٣) من غير المؤسسين لانهم وسيلة الهدف .

يرقى(٤) عليه الى الهدف الأصيل ، قالت تلك الطغمة الجادة والتى لبست حينا جلد الحمل على هيكل ذئاب ، لنا ميراث اغتيل ، وحق اغتصب ، ولئن ووري جانبيه التراب .. **فسننتقم من ورثته مهما بعد المدى بينه وبينهم ، فهذا مكاننا ولا بد لنا من الوصول الى غايتنا . والطرف الاخر فى غفلته ساه** ، وفى هواه لاه ، يرضى بمذاق حلو فى لحظة عابرة تعقبه مرارة الأبد ، فانتفخت بطون ، وورمت أوداج ، وانعكست فعال ، فقريب اليه يساء ، وغريب اليه يحسن ، وكان من النتائج ما وقع فى الواقع الذى — لسوء طالعنا — عاصرناه ، ومع ضعفنا حملنا آثاره ، ولكن . سننفض الغبار ، ونجلو الصدأ .

٣ — تأمل معى ما مضى — وتابعه فى الحاضر — تجد عداوة فى غير موضعها مع اهل وولد ، فهذا يفتك بأخيه لأنه يتوقع أن سيقف فى طريق ولايته، وذاك يجرد جيشا لقتال صنوه لانه يستعجل السلطة والاقتدار ، وثالث يرسل عيونه وراء أبناء ابيه ، وينوشهم بسلاحه واحدا واحدا لخصومات متخيلة ، ووراء هذه الحوادث كلها — فى مجرى التاريخ القديم والمعاصر — عيون صغيرة ، وأجسام قميئة ، ونفوس منطوية على شر يراد بالجميع لا يستثنى ، وانما يصدم الكبير بالصغير حتى يتفتتا جميعا ، ثم يقفز هو على صدورهم ليجز رقابهم وحينذاك يخلو له الجو ليبيض ويصفر ، ففى كل مكان امير المؤمنين ومنبر ، وتوالى الزمان صورا مكررة وفصولا معادة ، وان اختلف الجواد ومكان الحلبة فهل من مدكر .

يعيى المفكر بتاريخنا والذين ملأوا فراغه ظلالا لا حقيقة ، وان خطأ واحدا قد جر الى اخطاء ، وان بابا فتح لعدو مستتر فى زى صديق قد جنى على الأمة كلها جناية لا يمحوها كر ليل ولا مر نهار ، وانما يعفى آثارها ايمان بالله ، ثم بالحق المضاع ، وعزم وصدق وحزم ، ووفاء واقدام ، وانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، وما نحن بكافرين ابدا .

٤ — برز فى الزمان رجال لم يسمع لهم ، وضاء كتاب ثم اول وكثر تأويله وتجاوز حملته(٥) وما هم بحملته فقد حملوه ولم يحملوه — حدود ما ورد فيه ، **وهم يدعون السير على ضوء وحيه وهداه ، صدقت به السنة فانبتت من** أماكنها ، وامتدت به أيد فلم تعد الى مواضعها ، وماجت به رءوس فانفصلت عن اجسادها .. وهناك .. هناك بعيدا عن الوادى .. نشأت جماعة ونبتت فكرة صارت عندهم عقيدة(٦) ، وحملها من غره سرابها ، وقدمها للعالمين قوانين ونظما تدعى الدفاع عن المظلومين وهى ظالمتهم ، ورد الحقوق الى أصحابها وهى تجتاح محارمها ، كلام معسول ولكنه فى التطبيق العملى مفقود الأثر ، همهم امتلاك الدول ولدابهم — بغير سلاح مسنون — امتلكوها .

وهنا نقف قليلا نتذاكر ما بين أيدينا ، هل فيه الكفاية والغنية أم أن زمانه مضى مع الزمن الذى مضى ، وطالعت وفكرت وراجعت مفكرين على مستوى رفيع وتأملنا ، فلم نجد فى مقال القوم جديدا فقد فى قديمنا ، ولا بابا لخير فتح كان موصدا ، ولا كنزا عثروا عليه كان خافيا ، وانما الفينا العكس ، والعكس الحقيقى بل التناقض فى أوضح صوره ، وادناها لمن أراد فهما وعقلا ولو قليلا ،

(٤) بالبناء للمجهول .

(٥) هم المسلمون جميعا ؟!

(٦) ولدت فى دولة ونمت فى اخرى وتزايد نسلها حتى كاد يعم العالم القديم جميعا ؟!

فالانسانية فى أدق مدلولاتها لا وجود لها عندهم وانما الكل آلة ــ قــالوا ــ لنمحو الطبقات ، ونظامهم ثبتها ، وقالوا : لا مال لأحد ، وجعلوا ما يطلب بالمال فى القمة المسيطرة وصاحوا ليساس الناس بغير سلاح ، واعملوا السلاح فى رقاب الأحرار ، وان صاح صائحهم الما قضوا عليه كمدا ، وان عافت الأرض الدم أجبروها على قبوله ، فحفروها لتبتلعه على رغمها ، ومهما صرخت تحت معاولهم فلا يسمع لها .

والآن لنستغفر لذنوبنا ولذنوب أجدادنا ، ولنعد الى بارئنــا ، ولنبسط كتابنا ولنصح :

هاؤم اقرؤوا كتابيه ، تريدون نظاما .. ! هورب النظام وعدو الفوضى ، تطلبون قوة فى اتحاد ... هو أول داع اليها ، ترفعون عن الفقير أصر فقره .. ما الحب الطريق التى رسمها لوصول كل ذى حق الى حقه .. تنادون بنظــافة اليد وطهارة القلب .. ما أشد حرصه على تنفيذ ما به تنادون ... تعالجون المرضى وتنشئون المشافى ، تشيدون المدارس وتهدمون الجهل .. تعمرون .. تبنون .. هى دعوته الى التعمير والبناء .. تتعاطفون وتتراحمون .. هــذا نهجه وذاك مسلكه ..

والآن لنستغفر لذنوبنا وذنوب أجدادنا .. ونستعين بالله العلى القادر ، لنعمل بعد أن طال وكثر قولنا ولننظم شملنا ، ونسهر على تنفيذ ما نريد كمــا سهر عدونا ، ونصبر ونصابر وان طال المدى ، فالموقف لا يحتمل التسويف ، وكفى النائمين نوما ، وكفى المخالفين مخالفات ، ولنمض معا ولا ننظر الى مثبط أو معوق عن الوصول الى حقنا الى كرامتنا الى تحقيق انســانيتنا كأناس لهم ما لغيرهم من البشر من العيش الحر فى أرضهم ، فى وطنهم ، فوق ترابه وتحت سمائه ، فقد امتلأ الكأس حتى فاض ، وأصبحنا لا نستطيع أن نرفع الطرف أمام التاريخ ، الذى لا ندرى ماذا سيكتب عنــا غدا فى هذه الفترة من الزمـــان ، سيصفنا بالجبن والنذالة ويسمنا بالتقصير والخور ، ان نحن توانينا ولم نمض سراعا الى هدفنا الى تحرير وطننا من أرجاس المعتدى الأثيم ، واعادة مشردينا الى ديارهم التى بنوا ، وأرضهم التى نبتوا بين نباتها وطعموا ثمارها ، وتكونت لحومهم وعظامهم من غلاتها .

أهيب بكل قادر على التفكير أن يفكر جديا ، وبكل قادر على العمــل أن يعمل فورا دون توان ، وأؤمل أن يصيخ سمعا أولئك المثبطون فيكفوا شرهم عنا ، ولنتجه كلنا صفا واحدا وقلبا واحدا الى الجهاد فى أشرف ميــدان وأعز مكان على الله وعلى الناس فنخلصه من العدو الشانىء الحقود ..

والآن : لنستغفر لذنوبنا ولأجدادنا .. ونغسل عارنــا بدمائنا ، فليكتب الكاتبون وليبذل الواجدون ، وليسر الى ميدان الشرف القــادرون حتى نكون جديرين بوراثة خير الأنبياء وأكرم الآباء أخوتنا . أليس من آبائنا القائل : لنــا الصدر دون العالمين أو القبر ، حولوها الى عمل كما فعل ونفــذ . أليس منهم المنادى : أحد أحد شاهت الوجوه ، وانتصر الحق وانتصر فعلا ، أين شبابنا : أين كهولنا ! أين ثراؤنا ! أين سلاحنا ؟! هيا نمضى على بركة الله حتى لا نلاقى الاهانة فى كل مكان ، والاحتقار مع مضى الزمان ، فالعدو الكاشح جاد ومثابر ، وقد ملك ناصية الأمر فى أماكن كثيرة من العــالم المعــاصر ، واستأسد حين استنوق الجمل ، وتجمع مع تفرق قوانا ، وهو فى كل أحواله ثعلبــان ماكر

وحية رقطاء .

٥ ــ اصغيت الى (ديار) قال : مر بى منذ بضعة أيام استاذ فى جامعة . . ودعانى لمرافقته الى دولة غير الدولة التى اقضى فيها حاضرى ، فلنمض بعيدا عن صخب الجماهير الثائرة ــ هنا ــ فى عنف وتنظيم ، مطالبة بحقوق ومدافعة عن مطالب ، ثورة شملت كل مرفق عام فى المدن والريف ، ولا يعلم متى تنتهى ، وبدأ المسئولون يعالجون فى رفق وحزم ولكن الداء عيـــاء ، يلوح فى الجو ان الطبيب نطاسى ماهر ، لبيت لأرى معالم الحياة فى دولة مجاورة قد أجد فيهـــا جديدا ، وفى هذه القارة كل يوم جديد من الأفكار ، وجديد من العمل والانتاج ، وصحبته حتى اذا وصلنا الى الحدود اجتزناها فى رفق ويسر كما يجتـــاز أى عابر (بوابة الجهراء الى الشويخ(٧)) وهذا حدث يثير انتباه الشرقى لما يرى بين بلاد شقيقة من تعقيد الاجراءات فى مثل هذه الحـــالة ، وادرك الأستاذ ما يدور فى رأس مرافقه . فقال : لا تعجب فهذا هو الوضع فى بلادنا ، فلكل دولة فى هذه القارة حدود ، ولكن بمقدار ما يعرف المزارع فى الريف أن لأرضه حدودا لا يصح لغيره أن يفلحها الا باذنه ، أما أن يزوره أو يتحـدث معه عبر الحدود فهذا لا يستدعى كبير اهتمام ! . . . وواصلنا المسير الى أطراف مدينة . . لم يطلعنى على معاهد العلم فيها ، ولا دور اللهو أو المعالم القديمة ، وانما دلف بى الى مبنى فسيح لا أعدو الحقيقة اذا قلت انه مدينـــة مستقلة ، شيدت فى طرفها النائى غرفة فسيحة مؤثثة على نسق قديم ، وذوق جميل ، وفى الصدر منها جلس شيخ مهيب تحيط به آلات اتصال تربط مصـــانعه بالعالمين القـــديم والجديد ، رحب بنا الشيخ وهش للقائنا ، ورغم انه تجاوز الثمـــانين فسمعه لا يزال سمعه لم يحوجه الى ترجمان ، وعيناه الحادتان عيناه يوم كان شارخا ، وكل مظهره يدل على حيوية وقوة ، الا أن لون شعره قد حال الى ضد ما كان عليه فى صباه ، وقبع فى هدوء وتنسيق فوق جبهة عريضة كأنه حارس يقظ يرد العادى ويدافع المهاجم ، وقدمنى الاستاذ اليه على انى صديق موال من الهند(٨) ومظهر (ديار) يؤيد الوصف وان كان عربيا ، وجرى الحديث بينهما يعـــالج الأحداث الحاضرة ، وأنا انصت وأشارك قليلا ولكن بمقدار ما يوجد للقـــول مجال ، واذا الشيخ يتنفس الصعداء ويدور فى كرسيه « اللولبى » فى فتـــوة ابن العشرين ربيعا كأنه يزيح عن صدره آلام سنين وسنين ، وينتصب واقفـــا كأنما نشط من عقال ثم يعود الى مجلسه فى هدوء متكلف ، ويواصل الحديث : الا تدرى يا . . . انى استرحت وقرت عيناى ولو قضيت الآن ما أسفت لشىء ، فها أنذا أرى التابوت(٩) يعود الى موضعه وبهذا تحقق ما رجوته وما كان يثيره أبى وما تواصى به أجدادنا كابرا عن كابر ، وها هم أولاء حراسه الموعودون به ، ولقد وضعت كل ذرة فى مصانعى هذه ، ومثلها فى دول أخرى تحت أمر الرجل الذى شرف أصلابا ينتمى اليها حين فتح مدينة ، وحقق أحلاما وغلب أمة تمثلها عدة دول ، كل دولة منها تفوقه عديدا ، وها هو ذا قد مارس حقا مشروعا فى توراتنا(١٠) : ويقول « ديار » هنا : شعرت بنار تثور فى مفـــاصلى غلا منها

---

(٧) هما ضاحيتان من ضواحى الكويت .

(٨) هكذا بالنص ولا أتزيد .

(٩) اقرأوا سورة البقرة .

(١٠) هكذا تعبير الشيخ يعنى (التوراة) .

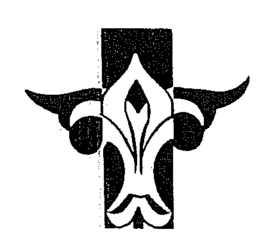
دمى ، وهممت بالرجـــل لولا بقية من تفكير حـــارس ، وادرك ذلك صاحبى ، فضغط على قدمى ، واتجه الى الشيخ يطلب مسكنا لداء يثور بالهندى كلما سار طويلا ، وشكرت معتذرا عن العلاج فما دوائى الا شربة من دمه(١١) ، وتعجل صاحبى مستأذنا ، ولما ابتعدنا صاح بى : هكذا رايت راى العين صـــورة من **الواقع العملى الذى يعيشه المطالبون ـــ ان صدقوا ، وما هم بصادقين ـــ بحق متوهم قد مرت آلاف السنين ، ولو رام كل شعب ما يرومون ما اســـــتقرت** بأمة أرض ، فأكاد أجزم انك لا تجد أمة نبت أجدادها الابعدون فى الوطن الذى تشغله ، بل ان ملوكا فى قارتنا هذه لا يمت نسبهم الى الشعوب التى يحكمونها بصلة دم أبدا وفى العالم الجديد أشباه وأشباه . . . وهنا ـــ كما يقول « ديار » مرت أمامى قوافل تاريخنا محملة بالمآسى ومتى ؟ فى المواقع الفاصلة دائمـــا ، ولم أستطع لهذا تعليلا ، وان كان له تعليل منطقى معقـــول . . ورن فى اذنى صوت الأستاذ : لن يجمع شتاتكم الا جامع السماء ، فما أكثر المبـــادىء التى تعج بها الدنيا المعاصرة ، وكل يزين (طبقه) ليقدمه لآكليه شهيا فى مظهره ، وقد يكمن السم فى الدسم ولسوء الحظ او لجسنه عند البعض قد وصلت هـــذه المذاهب فى خطورتها الى مدرجات الجامعات واعتنقها أســـاتذة وطلاب ، ولا أرى لدائكم علاجا أفضل من الالتفاف حول كتـــاب العرب الفريد فى صفـــاته الأول دون شرح أو تعقيد(١٢) ، وقلت أتعنى القرآن ؟ فأجاب وهل فى الدنيـــا اكمل منه ، فان سمعتم وعملتم والا كانت النتائج التى ترون ، وما ترون هـــو البداية لنهاية لا يعلمها الا صاحب الغيب ، وقال (ديار) وعدت الى نفسى فلم أجد الا الاستغفار لذنوبنا ولأجدادنا وتقصيرنا معا ، والعزم على مواصلة الكفاح فى الحقل الذى يرد كرامتنا ، ويضم صفوفنا ، ويجمع قلوبنا ، ومواطنو هـــذه المنطقة من العرب مدعوون لنفير عام ، ومعهم مسلمو الدنيا فى كل بقعـــة من بقاع المعمورة لانقاذ المسجد الأقصى ، ومهد المسيح اثباتا لوجودهم وتحقيقـــا لرجولتهم وانسانيتهم ، والله المستعان .

باريس ـــ على عبد المنعم

---

(١١) هكذا حلا للاستاذ ان يقول .

(١٢) .. حماس السيد (ديار) يقرب الى القارىء صورة (البالون) الواهى الجدران الذى ينتفخ بقليل من الهواء ثم ينفجر عند اقل صدمة ، ويذكر باصوات طالمـــا صرخت ثم ذهبت أدراج الرياح ، والطبل الاجوف هو اكثر قوة من غليان دم (ديار) ، والمرحلة الآنية تحتاج الى عمـــل ومثابرة ، واتقان للعمل وأحكام للمثابرة ، ومثل هذا الموقف يدفع أمثال الشيخ ـــ ماليـــا وسنا وقوة ـــ الى محاكاته على اضعف الايمان حتى نمضى ونتتج ونصل وحتى لا يصدق علينا (اسمع جعجعة ولا أرى طحنا) واكرر : هذه مواقف عملية يا (ديار) ويا (آل ديار) فاستغفروا ربكم ثم امضوا حيث تؤمرون ..





للدكتور : محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بجامعة الازهر

عندما تحدق بالبلاد ظروف عسيرة ، وتنزل بها محن قاسية تؤلم الكبير والصغير ايلاما شديدا وليس ايلاما من النوع المادى الذى يرهق الضعفاء ، أو يزعج الجبناء ، او ينال من افئدة المترددين والانهزاميين ، بل هو ايلام معنوى ناشىء من خدش عزة الأمة المتأصلة فى الرفعة ، والمتعودة على الشموخ ، حين تجد أن تلك المحنة قد نزلت بها على يد ذنب قذر من أذناب دولة مستعمرة غادرة ، لا تاريخ لها ، ولا ماض يشرفها ، ولا وراثة شهمة ترفع من قدرها .

عندما تلقى احدى الأمم العريقة كأمتنا مثلا نفسها فى هذه الحالة ، تشعر بألم قاس يحز فى قلبها ، وتحس احساسا باطنيا فعالا بأن عاملا قويا يدفعها الى ضرورة التفكير الجدى ، والتأمل العميق فى معانى الاحداث المحيطة بها ، والاخطار التى تتعرض لها الأمة العربية كلها . وسرعان ما تجد أن مقدمة الخطوة الاولى هى العمل السريع الحاسم الحازم على التخلص من هذه المحنة بطريقة عزيزة كريمة ، تحتفظ للأمة جمعاء بهيبتها كاملة غير منقوصة ، وان مؤخرة هذه الخطوة هى النظر العاجل فى اعادة تكوين الشباب ، وتقويم تربيته ، وتقييم جميع حركاته وسكناته ، وتعويده على الصدق فى القول والاخلاص فى العمل . وهذا لا يتيسر الا اذا ربى الشباب تربية دينية تعتمد قبل كل شىء على العقيدة والايمان .

ونحن فى هذا لا نلقى الكلام على عواهنه ، فقد اثبتت الوقائع المادية صحة هذه الدعوى مرارا ، ونشرت فى تقارير رسمية . فحين روعت الهزيمتان

المادية والمعنوية جيش الحلفاء فى احدى مواقع الحرب العالمية الثانية ، استدعى المسئولون أطباء نفسيين ليدرسوا حالات المنهزمين أو دعاة الانهزام ، فلما فعلوا تبين لهم ان اولئك وهؤلاء جميعا ممن فقدوا العقيدة الدينية وصاروا لا يؤمنون بشىء البتة ، وبالتالى فقدوا الايمان بالغاية فانهارت معنوياتهم ، واصبحوا لا يجدون فى نفوسهم الهدف الذى يستحق التضحية بالحياة .

ومن ثم فانه حين نزلت الآية الكرية « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » كان لها — كما أجمع الرواة — اثر بعيد الغور فى النفوس .

من هذا كله يتبين ذلك الأثر الرائع الذى تطبع به العقيدة نفوس المؤمنين ، وتهون عليهم التضحية بالمال والحياة فى سبيل الشرف والكرامة والعزة .

واذا اغضينا مؤقتا عن مواقف الحرب والتضحية واسترجاع الهيبة وتضميد ذلك الخدش العارض الذى أصابها ، ونظرنا الى سير الحياة العامة وشؤونها العادية التى لا تستقيم الا بالفضائل والاخلاق ، الفينا أن عشرين فى المائة يمتنعون عن الجرائم خوفا من القانون ، وأن عشرة فى المائة منهم فقط يمتنعون بدافع الاخلاق الاجتماعية أو المدنية ، وأن سبعين فى المائة يمتنعون لا عن الجرائم فحسب ، بل عن صغائر الآثام والسيئات بدافع الدين .

فينبغى — اذن — أن يقدر المربون الذين تعنيهم استقامة الشباب ، وصلاح المجتمع ، أن ترفع المؤمنين الحقيقيين عن الغدر والخيانة والخداع ، هو ترفع أصيل ، صادر من القلب ، ثابت مدى الحياة ، بينما أن امتناع الخائفين من القانون هو امتناع الروغان ، وان الفرق بين الامتناعين كالفرق بين المرأة التى تصون عرضها من كل قلبها وعقلها ، والأخرى التى تصونه خوفا من بطش زوجها او أسرتها أو من كشفها أمام المجتمع ؟ وشتان ما بين حالة الثقة والطمأنينة ، وحالة المراوغة الظاهرية .

على انه قد يغلب على أوهام فريق من شبابنا السطحيين أن التمسك بالدين او السير على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ضرب من التأخر أو الجمود ، وذلك خطأ شنيع فادح الكوارث والنكبات .

وربما كان هذا الشباب الساذج كان فى النصف الاول من هذا القرن معذورا فى انزلاقه فى هذه الهوة ، اذ أن المستعمرين الذين كان لهم فى البلاد العربية سماسرة ، وأعوان ذوو قوة وسلطان ، كانوا قد أعدوا ميزانية خاصة وضعوها تحت أيدى أولئك السماسرة الخونة ، قصد انفاقها فى افساد تربية الشبان وعقولهم وعقائدهم . وقد نجحوا فى الوصول الى هذه الغاية ، فنقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين ، ان أداء الفروض الدينية من : صوم وصلاة وزكاة وما الى ذلك من التكاليف ، من شأنه ان يجلب الى أصحابه الاهانة والاستهزاء .

ولقد خلقت هذه المحاولات الاستعمارية الخطرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية ، كان من نتائجها أن دفعتهم الى التهاون فى اقامة الشعائر الدينة ، التى هى مناط التماسك والترابط . وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى اليها المستعمرون ، لأنهم يعلمون تمام العلم انه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ساد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان تثبتت اقدام الاستعمار . وسر ذلك أن المستعمرين قد حنقوا على

أهل هذه التعاليم القوية المتينة ، فودوا ان يعملوا على ضعضعة قواهم ، ومحو هيبتهم ومقاومتهم ، وقد استعملوا لهذه الغاية سلاح ازلاق الشباب فى هذا الاستهتار بالشعائر الدينية ، وابعاده عن فهم مغزى الأوامر السماوية ، واغلقوا دون عقوله أبواب الحضارة الاسلامية الأصيلة ، وفتحوا أمامه لمعان المدنية الغربية المادية .

ولكن لو ان المسلمين المسئولين عن تربية الشباب وقيادته نحو الحياة الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السليمة ، قد فهموا دينهم حق الفهم ولقنوا الشباب مبادئه وتعاليمه على أصولها ، وراقبوا تطبيقها مراقبة دقيقة ، لو انهم فعلوا ذلك لاحتقر الشباب سخرية الساخرين منهم ، ولتباهوا بقوة الايمان ، وثبات العقيدة ، والمحافظة على تأدية الواجبات الدينية والدنيوية ، ولنظروا الى المثل العليا المرسومة فى دينهم ، وتطلعوا الى السمو الممثل فى مبادئهم وشعائرهم ، ولأيقنوا أن هذه المبادىء ، وتلك الشعائر من شأنها أن تقودهم الى الحرية والسعادة ، بل الى الرفعة والسيادة ، لا عن طريق الاستبداد والطغيان ، والاستعلاء والتحكم فى شؤون الغير ، بل بوساطة المبادىء العالية المسعدة وذلك لأنه اذا انتصرت فى قلوب المؤمنين روح الخير التى تمثل الألوهية على الارض ، تعهدت العلائق بين الانسان وربه بالتقوية والتنمية ، ومتى تقوت هذه العلائق ، جعلت النفس المؤمنة ، تتلقى أوامر السماء بهيئة نقية صافية ، ثم تمليها أولا على حياتها العملية الخاصة ، لكى يطبق العلم على العمل ، فتتحقق الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب » .

واذا تم له ذلك ، أفاض تلك الاوامر الالهية علي بيئته ومجمعه ، وقد تتسع الدعوة حتى تعم الانسانية جمعاء ، فتصلح حالة الدنيا ، ويسودها الوئام والسلام ، وتعمها العدالة والنصفة ، ويحل الرضى محل النزاع ، وتشغل المحبة من النفوس موضع البغض والحفيظة . ومن آيات ذلك ان الاوامر الالهية ، كانت منذ غابر العصور ، وستظل ، تقتاد بنى الانسان الى الفلاح والكمال ، اذا وضعوها موضع الاحترام والعناية والتطبيق ، ولكنها — ولا قدر الله — تشهد دمارهم وفناءهم ، اذا هم سحبوا عليها أذيال الاهمال والنسيان .

فاذا كانت كل الظروف والاحوال شاهدة بأننا كنا فى أشد الحاجة الى ارشاد الأوامر السماوية ، وقيادة الكتاب الكريم ، والسنة الغراء ، لجميع أقوالنا وأفعالنا وخطواتنا وتصرفاتنا ، وأن ذلك كله كان قبل أن نختلط بالأجانب، ونتعرض لما هب علينا من ربوعهم من عواصف الفتن والغوايات ، فكيف بنا بعد أن انهمرت علينا من أصقاعهم سيول المادية ، والميوعة والتحلل ، والزندقة ، والالحاد ؟

نعم ان الذين ينظرون الى الامور نظرة سطحية عائمة ، تفتنهم روعة المدنية الغربية البراقة ، التى يؤلف انتاجها العلمي والادبى والفنى والثقافى الوانا لماعة ، لشبح مدنية زائفة ، تعلن أنها راقية مصقولة ، وتزعم أنها بعيدة عن كل عنف وقسوة . ولكن النظرة الفاحصة تكشف للأدقاء المتعمقين حقيقة هذه المدنية ، وتبين فى وضوح أن الأزمات الخلقية الراهنة النابعة من الغرب ،

تنم عن غلظة وفظاظة ، لا نظير لهما الا بين الوحوش الضارية ، وان الحربين العالميتين الأخيرتين ، قد كشفتا لنا عن حقيقة هـذه المخلوقات التى يعتبرها القشوريون عندنا ينابيع المدنية ، وان الحالة الراهنة تظهر لنا أن كل ما بينهم ، هو عبارة عن كفاح وحشى حاد دائم ، مخبوء تحت ستار الحقد والغل والجشع المغطى بالنفاق الكثيف حينا ، والخفيف أحيانا ، وأنهم غارقون فى معارك طاحنة لا نظير لها فى عهود البشرية الاولى التى يطلق عليها أولئك المتبجحون الماجنون اسمى العصر الحجرى ، والعصر الحديدى .

وذلك لأنهم استخدموا فى ضرواتهم البغيضة مقدرتهم العقلية ، ووسائلهم التكنولوجية ، ومخترعاتهم الميكانيكية ، التى تزلزل تنوعاتها وتجـديداتها المتوالية ، جميع النظريات العلمية السـابقة بمباغتاتها المفاجئة ، فتقضى على مظاهر الاعتدال والاتزان ، ولا تلبث أن تحقق رجحـان احدى الكفتين حينا من الزمن ، سرعان ما يزول ، ويتخلى للكفة الاخرى عن ذلك الامتيـاز ، وهكذا دواليك صعودا وهبوطا تتابعهما الابصـار والعقول والقلوب بـلا ثبات ولا استقرار .

وتلك بالاجمال هى حرب الفروض والتكهنات والرهبة والفزع والتسابق على الاسلحة المدمرة والجاسوسية والتنافس فى مضـاعفة الميزانيات لتقوية مصانع التخريب والتقويض . ومن المجون أيضا أنهم يسمونها حروب المذاهب والمبادىء ، وكان الأولى بهم ان يطلقوا عليها اسم «حروب القهر على التمذهب» أو الاجبار على اعتناق المبادىء ، ولو لم تسترح لها العقول ولا القلوب .

غير ان هناك من بنى الانسـان أفرادا وجماعـات ، يعرفون واجباتهم ، ويدركون أن الضرورة تحتم عليهم مجاراة أولئك الذين ليس لهم من الانسـانية الا اسمها ، ولكن اخلاصهم لبلادهم ، وأملهم فى انقاذ مبادئهم من مخالب هذه الوحوش الضارية ، يتطلبان منهم أن يسايروهم فى الاستعداد اسـتجابة لأمر كتابهم : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لا سيما أنهم يعلمون تمام العلم زجاجية ذلك السلام الظاهرى الزائف ، الذى ينادى به أولئك المنـافقون ، ويوقنون بامتلاء قلوبهم بالحفائظ والتحفزات ، للهجوم فى كل لحظـة من لحظات النهار والليل .

ولا ريب أن هؤلاء الاناس الجديرين باسم الانسانية يعلمون أنه حين يجد الجد تتحدد مسئوليتهم وتبدو هائلة . ومن ثم يستعدون لتلك الساعة ، ويعدون مشروعاتهم التى ستتلاقى مع امثالها ، والتى هم يتنبأون بها ، ويحسـبون حسابها ، كأنهم يتغلغلون فى أعماقها منذ الآن ، لكى يستطيعوا ـــ بفضل اتقان دراستها ـــ أن يردوا على كوامن مشروعات أعدائهم والا تأخذهم ابتـكارات أولئك الاعداء على غرة .

لذلك كله نحن ندعو الأمة العربية خاصة والأمم الاسلامية عامة أن تتكتل لمواجهة هذه الأخطار الوحشية ، وأن تعتصم بحبل الله القوى المتين ، وأن تنقب فى دينها عن تلك المبادىء العالية ، التى هى وحدها القديرة على تعميم السلام ، وانقاذ البشرية من هذه الوهدة ، التى هى سائرة على حافتها ، والتى لو لم تغشها تلك المبادىء السماوية ، لتردت فيها ، وقضى عليها القضاء الاخير .

ونهيب بالمسلمين الا يقفوا سلبيين أمام هذه السـيول العارمة ، والعواصف العاتية ، والاحداث المجتاحة ، فليس أبغض الى الاسلام ، ولا أبعد عن تعاليمه

من السلبية والجمود .

كما ندعوهم الى أن يصونوا أبناءهم وبناتهم عن التحلل والميوعة باحكام تربيتهم على النماذج الاسلامية ، اذ ان التربية هى الوسيلة المثلى التى يؤسس بها كل مجتمع فى قلوب أبنائه الدعائم الجوهرية لوجوده الخاص ، وهى الأثر الخالد الذى تتركه الاجيال الناضجة فى نفوس الاجيال التى لم تنضج بعد ، ولم تهيأ لحسن مزاولة الحياة الاجتماعية . وهدفهـا الرئيسى هو أن تنشىء وتنمى فى تلك الاجيال الشابة مزيجا من الشعور بالحاجة الى العوامل الدينية والاخلاقية والعقلية ، الى جانب القوة البدنية التى هى ضرورية لقوام المجتمع بوجه عام ، وللأوساط التى تحيا فيها بنوع خاص .

ومنشأ ضرورة التربية و الحاجة الماسة اليها هو ن الطفل لا يحمل معه الى الحياة الا طبيعته الفردية بالانانية الغريزية ، ولكنه يحمل ايضا الاستعداد لتعلية تلك الانانية وترقيتها . ومعنى هذا ان المجتمع ــ بازاء كل جيل جديد ــ يكون امام صحيفة بيضاء ينبغى أن يبذل جهوده لينقش عليها ما يجعلها صالحة للحياة والسعادة المستعدة للغير اى ان المهيمنين على اموره يجب عليهم ــ عن طريق أصلح المناهج ــ أن يمزجوا بذلك الكائن الأنانى كائنا آخر عادلا معتدلا ، قادرا على قيادة حياة خلقية واجتماعية ، لا تستطيع الوراثة أن تحققها له .

ولما كانت هذه الجهود فى اشد الحاجة الى مدنية دائمة السير الى الامام ، لتكلل مساعيها بالنجاح ، وتضمن لباذليها الفوز بنتائج جهودهم .

ولما كان كل متأمل فى المدنية الغربية المادية ، يتضح له تمام الاتضاح أنها سائرة الى التدهور والانحدار بخطوات واسعة نرجو الا تهوى بسببها الانسانية كلها الى الحضيض .

ولما كانت الحضارة الاسلامية هى وحدها المستقيمة المعتدلة المتزنة السائرة الى التقدم والرفعة ، ولم تكب عبر التاريخ فى أية نكسة الا بسبب تقصير أبنائها أو انحرافهم عن مبادىء دينهم القويم .

لما كان كل ذلك من الحقائق الواقعية الناصعة ، فان أقل ما يحقق الانسانية من مسكة العقل ، يحتم على المهيمنين على شؤون الاطفال والمراهقين الا ينشئوهم الا على مبادىء التربية الاسلامية ليضمنوا لهم الاستقامة والقوة والشهامة والعدالة والسهر على اسعاد المجتمع الذى يعيشون فيه . بل على اسعاد الانسانية جمعاء « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » .

وأكثر من ذلك أن مبادىء الاسلام لا تقف عند تسوية الغير بالنفس الا بازاء المسلم العادى ، أما المسلم الذى يتطلع الى مزيد من السمو ، ويمد عينى قلبه الى وفرة من رضاء ربه ، والى رفعة منزلته الخلقية ، ولا يكتفى بمستوى الأخيار ، بل يرنو الى مكانة الأبرار ، فهو يفضل الغير على نفسه ، ويقف فى الدرجة الثانية أو الثالثة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

قدسية الهدف ومقومات النصر

للدكتور: وهبة الزحيلي
عميد كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

لست فى هذا المقال قائدا يخطط لمعركة ، ولا مسؤولا ذا سلطة يتكلم عن نتيجة حرب بالأرقام والوثائق ، ولكنى امرؤ كسائر الملايين من مسلمى العالم هزته كارثة الهزيمة الاخيرة التى حلت بأمتنا ، فبات القدس الشريف والمسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومعراج ومسرى رسول الاسلام مثار الاحزان والآلام العميقة التى تتفطر منها القلوب ، واصبحت بلاد المسلمين والعرب فى ايدى أعداء المدنية والانسانية ، والديانات السماوية ، يعيثون فيها فسادا ، ويتملكهم الغرور والخيلاء ، فيهددون ويتوعدون ، ويتحدون العالم بما تهيأ لهم من دعم كبير ، وظروف مواتية تعاون فيها الحقد والبغى والعداء المستحكم للنيل من كرامة الاسلام والمسلمين وشرفهم وعزتهم ..

فانطلقت أصور ما يتفاعل فى نفسى وما يجول فى خاطرى من تأملات وملاحظات ، حول واقعنا المر الاليم ، مقارنا ومحاكما أوضاع أمتنا فى ماضيها وحاضرها .

حالة المسلمين والعرب :

ان اغلب بلاد المسلمين قد عانت من ويلات الاستعمار الشىء الكثير ، وحينما تهيأ الاستقلال الوطنى لأوطانهم جند المستعمر كل طاقاته ، وحشد كل امكانياته السياسية والفكرية والعسكرية لابقاء الضعف فينا ، وتقييد الانطلاق المنتظر نحو بناء مجدنا ، والوقوف بكل اصرار وعناد أمام وثبتنا الجبارة نحو غد مشرق أفضل ، فلم يتمكن المسلمون والعرب من اعداد نفوسهم فى فترة الاستقلال القريب العهد اعدادا كاملا ، وحاول العدو والصهيونية العالمية أن تلعب دورا فى القاء بذور التفرقة بين الاخوة والدول العربية ، فاستضعفنا العدو ، واستمرأ فعله ، وتأثر الناس بالاوهام والدعايات ، وكادوا يحسون العجز من نفوسهم لولا عناية الله ورحمته بنا .

ومع ذلك كله فمما لا شك فيه أن المسلمين والعرب توحد بينهم فى كل آونة ظروف الملمات والمصائب والاحداث ، فهم أبعد ما يكونون عن التغاضى عن أحوال أعـــدائهم ومؤامراتهم ، وهم أصلب النـــاس فى الصمود الطويل أمام الغزاة الطامعين ، وانى لمؤمن كل الايمان أن لدينا من الطاقات ما يمكننا بعون الله من النصر ، وأن جميع أفراد هذه الامة يسترخصون فى وقت الشدة كل غال ونفيس ، يقدمونه فى سبيل الصالح العام ، ولكن ينبغى على القواد أن يحسنوا الاستفادة من ذلك ، وأن يتولوا تنظيم تلك القوى المتحفزة بما يحقق الامل المرجو . فنحن أخوة وأمة واحدة ، فى الآلام والآمال ، والمصير المشترك . يقول سبحانه : « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . » الآية .

متطلبات المعركة :

الايمان ، التضحية والايثار ، البأس والاقدام .

نحن الآن فى مجال التربية والتعليم والتوجيه والاعداد أحوج الناس الى أن نفهم القتال بأن أساسه الايمان الصادق بالله عز وجل ، والعقيدة القوية ، والاحساس بقدسية الهدف فى الدفاع عن دين الله ، وأرض الوطن ، وحرمات البلاد والحق والعدالة والحقوق والواجبات الدينية . فلا يكون احراز النصر من أجل عصبية أو قومية أو حزبية أو طائفية ، فالوطن للجميع ، ولا بديل عن الايمان يمكن أن يبذل المقاتل نفسه من أجله ، أو يضحى بحياته ، ما لم يكن هناك أصل مقدس يعتمد عليه ، ويحارب فى سبيله ، فلقد اثبت التاريخ أن العرب انتصروا بالايمان والجهاد فى سبيل الله ، وهذه طبيعة أصيلة فى نفوس أبناء أمتنا . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » فمن خلا عن هذه الخصلة فليس فى سبيل الله بل ان النصر منه بعيد ، فالقتال من اجل طلب المغنم ، أو اظهار الشجاعة ، أو الرياء ، أو الحمية لأهل أو عشيرة أو صاحب ، أو الغضب لجلب المنفعة ، وكل ما يتناوله المدح والذم ، كل ذلك ليس فى سبيل الله .

ولقد كان حسن الصلة بالله ، والايمان الخالص به ، هو ركيزة الانتصار وأساس الغلبة فى حروب المسلمين ، وهذا مثل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـــا أقبلت قريش بغرورها الى وادى بدر فى موقعة بدر الكبرى : « اللهم هذى قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » ولقد القى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بمكة يدعو فيها أصحابه الى الايمان قائلا : « ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم ــ العرب ــ خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعـ[illegible] ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا » .

فالمؤمن يعلم أن الاجل محتوم ، وأن الحرب لا تقـــدم ولا تؤخر فى أجل الانسان ، وأن الجهاد للآخرة لا للدنيا ، وأن طريق العرب والمسلمين الى تحرير الاجزاء المغتصبة هو الجهاد المقدس القائم على الايمان الحق الذى يحشد من أجله آلاف الطاقات المادية والمعنوية والبشرية من كل بلاد الاسلام ، وأن الشهداء

أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يسجلون لأمتهم أخلد صفحات العزة والفخار : « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » « من اغبرت قدماه فى سبيل الله ، حرمه الله على النار » « والذى نفسي بيده لوددت انى اقتل فى سبيل الله فأحيا ، ثم اقتل فأحيا ، ثم اقتل فأحيا ، ثم أقتل » .

فلا يظنن الشهيد أنه مات فداء غيره ، فأصبح نسيا منسيا ، فهو ان استشهد فى سبيل الله مؤمنا به ومصدقا برسله مدافعا عن كيان أمته وبلاده ، فهو مع الابرار والصديقين ، وفى أعلى الجنان يوم الخلود فى الآخرة ، فهو رابح على كل حال : ان مات ، فله حسنى الشهادة ، وان بقى حيا تكون له مثوبة وكرامة الجهاد ، وان انتصر المسلمون عزوا به ، وسادوا فى الارض وحققوا المجد والخلود ، وجنى هو ثمرات الانتصار : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين » .

والايمان والحرب يتطلبان التضحية والايثار ، فلن يتمكن المسلمون من تقرير مصير المعركة الفاصلة لجانبهم مع العدو الصهيونى الا اذا سالت الاباطح والجبال والوديان بالدماء الزكية الطاهرة ، وجند الناس كافة امكانياتهم المالية والبشرية فى سبيل المعركة المقدسة : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به » .

والمعركة تتطلب الايثار : أن يؤثر الناس المقاتلين بكل ما يحتاجون اليه من امداد ومعونة وقوة واسعاف ومال ورجال ، فهذا أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وابن عوف ، والزبير ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم من سلفنا الصالح ساهموا مساهمة فعالة فى تجهيز الجيوش الاسلامية ، يقدم بعضهم كل ماله ، وبعضهم نصف ماله ، وبعضهم يجهز جيشا بكامله ، وبعضهم يبذل نفسه رخيصة فى سبيل الله ، مستشعرا ريح الجنة فى المعركة . لذا وصف الله المؤمنين بقوله سبحانه : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » : اى حاجة .

ومن المعلوم أن حالة المسلمين اليوم مع الصهاينة الاشرار تقتضي أن يكون الجهاد المسلح فرضا عينيا على كل قادر على حمل السلاح بتنظيم القادة والاعتماد على القوتين : المادية والروحية .

والمعركة تتطلب الصرامة والبأس والشجاعة والاقدام وانكار الذات والسرعة فى قلب المعركة لصالحنا : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » .

علائم النصر

العلم ، الاعداد ، الاخلاص فى القتال ، التوقيت الملائم للمعركة ، الصدق فى اللقاء والاستماتة فى سبيل الله .

قيل فى أعقاب الهزيمة الأخيرة : ان العلم غلب الجهل ، وهذا حكم صادق لحد ما ، فان عوامل الفشل : التخلف والجهل والتراخي الطويل فى التهيئة والتعبئة القائمة على أساس من الوعى والعلم والمعرفة واعداد أسباب القوى بأمضى سلاح وأحدث أسلوب .

فلا ينكر أحد تغير وسائل القتال ، وتفنن البشرية فى ابتكار اساليب جديدة فى الحروب ، ونحن مطالبون بأن نعبىء للمعـــركة كل القوى العلمية والفكرية والآلية ، جاء فى الاثر : « قاتلوهم بمثل ما يقاتلونكم به » وقال عليه الصـلاة والسلام : « الحرب خدعة » وقال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقديما قال الشاعر العربى :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى

ويلاحظ أن العدو يجدد دائما فى عملياته الحربية ، والمسلمون والعـــرب عليهم أن يقوموا بتدريبات على أحسن طراز وأتومه ، فقد كـان من أهم عوامل انتصار المسلمين فى الماضى هو التكتيك الحــربى الرائع ، واستعمــال كل ما تستدعيه الحرب من مبادىء الاستكشاف والتعرض والمفاجأة أو مباغتة العدو والتطويق والمطاردة وغيرها من مبادىء الحرب .

وذلك كله يتطلب اخلاصا فى العمل ، وتفانيا فى أداء الواجب ، وتمثيلا صادقا للأمة ، واستهانة بالراحة ، والعمل السريع اليقظ الذى تقتضيه سرعـة المعارك الحديثة ، ونبذ الخلافات الشخصية والمنـازعات الداخلية ، وتوجيه الدعم الحربى نحو صالح الجماعة ، والمحافظة على وحـــدة الأمة وكيانها ، والتخلص أولا من العدو المشترك .

ودخول المعركة تنتهز له الفرصة المواتية ، والتوقيت المناسب ، واستغلال الظروف التى تضع العدو تحت الأمر الواقع ، وفى ظـــلال رهيبة من النيران والرعب والخوف والذعر .

والثبات فى القتال أمام هجمات العدو وعدم الفرار الا لضرورة حربية من اهم دعائم الحرب : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلـكم تفلحون » « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم » .

ومن أمثال العرب : « الشجاعة وقاية والجبن مقتلة » وقد عرف العرب بالنجدة والمروءة ، والتضحية الرائعة ، والشجاعة الفذة والبطولة الخـارقة . وأما عدونا فقد بين الله سبحانه أنه مفطور على المراوغة والجبن والغدر والنذالة فهم لا يواجهون أحدا الا ضمن الآليات : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . وقد رأينا أخيرا كيف يربطون قائد الدبابة بالجنزير حتى لا يفر ويتركها ..

وأما المسلمون فقد مثل آباؤهم أروع الامثلة عند لقاء الاعداء ، وهم اليوم كذلك أيضا اذا أحسن قيادهم ، فهذا سعد بن معاذ الانصارى سيد الاوس يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل الخروج الى معركة بدر : « قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لمـا أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منـا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر بالحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله » .

نفسية المقاتل :

بهذه النفسية المؤمنة الصادقة المخلصة كان المسلم يقاتل ، وهكذا ينبغى أن يقاتل ، محبا للموت ، كارها للحياة الذليلة ، مقبــلا على الله ، مدبرا عن الدنيا ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاؤها ليس برخاء ، انما النعيم والرخاء فى الآخرة ، كما قال سيدنا عبادة بن الصامت رضى الله عنه . وعندما كان الفرس والروم يهابون الموت ، سارعت الهزيمة باللحاق بهم وقد جنبنا الله سبحانه هذا الخوف ، لأنه لا يجتمع مع الايمان ، فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم : انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » « الذين آمنوا يقــاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت (الاوثان والضلالات) فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

واذا كان العربى لا يقيم على ضيم ابدا ، ولا يرضى بالذل والهوان ، فانه ان شاء الله سيطهر الارض من رجس المشركين ، ويعلى كلمة الله تعالى ، وتظهر هذه النفسية فى قول شاعرنا العربى أبى فراس الحمدانى حيث قال :

ونحن أنــاس لا توســـط بيننـــا ... لنا الصــدر دون العــالمين او القبر
أعز بنى الدنيــا وعلى ذوى العــلا ... وأكرم من فوق التــراب ولا فخــر

وليست اعتداءات اليهود المتكررة امرا جديدا على البشرية ، فهم الذين كانوا سبب الحروب العالمية الحديثة ، وهم الذين حدثنا القرآن الــكريم عن طبيعتهم ونفسيتهم ، فقال تعالى واصفا حالهم : « لتجدن اشد الناس عــداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » « كلما أوقدوا نارا للحرب اطفــأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

القيادة الحكيمة الصارمة :

تتطلب الجيوش والمعارك كفاءات ممتازة ، وقيادة سليمة حكيمة ، وادارة حازمة صارمة تعرف المواقف ، وتدبرها على أساس منطقى ، لا ندم فيه . ولقد حدثنا التاريخ عن ضروب فذة للقيادة الراشدة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص ، وشرحبيل ابن حسنة وعلى بن أبى طالب وأبى عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود وطارق بن زياد وموسى بن نصير والحجاج بن يوسف وجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وصلاح الدين الايوبى وغيرهم .

ولعل أهم صفة للقائد هى الايمان المطلق بالله ، وبضرورة الجهاد والثقة بالنفس وسعة الافق ، والاخلاص للبلاد ، ومعرفة المواقع والرجال ، والدقة فى معرفة الآليات ، واليقظة والحذر ، والذكاء والحكمـــة ، والجراة والصرامة ، والتدرب الطويل على المعارك والحروب ، ونحو ذلك من كل ما يمثل القوة والسمو والفهم والحذق وضبط النفس .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

عثمان المفترى عليه

للأستاذ : محب الدين الخطيب

(١) رد اعتبار الحكم بن ابى العاص ..

من المؤاخذات التي يذكرها المتحاملون على عثمـــان زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن ابى العاص من المدينة ، وان عثمان اعاده .

وقد تناول هذه المسالة بالتحقيق اعلام المسلمين ، ومنهم شيخ الاســلام ابن تيمية فى كتابه العظيم ((منهاج السنة)) فى الجزء الثالث ص ١٩٦ . وقبله قاضى الأندلس الامام ابو بكر بن العربي فى ((العواصم من القواصم)) ص ٧٧ . والامام ابو محمد ابن حزم فى كتاب ((الامامة والمفاضلة)) المدرج فى الجزء الرابع

من كتابه «الفصل فى الملل والنحل» . ومجتهد الزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى فى كتابه «الروض الباسم» ، بل من هم ابعد الناس عن محاباة امير المؤمنين عثمان ومنهم الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع فى كتابه «سرح العيون» .

وخلاصة ما دارت عليه اقوال هؤلاء الاعلام :

١ — ان نفى انسان من بلد الى بلد يكون بتغريبه عن بلده الى بلد آخر ، والحكم بن ابى العاص كان وطنه مكة ولم ينف منها الى غيرها ، ولم نعرف ان الحكم هاجر الى المدينة حتى يطرد منها .

٢ — قول شيخ الاسلام ابن تيمية ان قصة طرد الحكم ليس لها اسناد نعرف به صحتها .

٣ — قوله ان كثيرا من اهل العلم طعن فى نفى الحكم وقالوا هو ذهب باختياره ، اى انه اختار الاقامة فى بلده .

٤ — اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد عزر رجلا بالنفى — وهو ما لم يثبت فى قصة الحكم ، لم يلزم أن يبقى نفيا دائما ، قال ابن تيمية — بل غاية النفى المقدر سنة . والتوبة مبسوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة له كما قال الامام ابن حزم .

٥ — قال القاضى ابن العربى — قال علماؤنا قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال — أى عثمان — لأبى بكر وعمر فقالا له : ان كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده .

وإذن النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان رواه ايضا الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المتشيع ، قال ابن الوزير والمعتزلة من الشيعة والزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة .

٦ — كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن ابى سرح ، فقبل صلى الله عليه وسلم شفاعته فيه وبايعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ؟ وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له فى ذلك .

٧ — ان قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فقد ذكرت مرسلة ، وذكرها مؤرخون يكثر منهم الكذب فيما يروونه .

(٢) اعطاء عثمان خمس الخمس لابن ابى سرح ..

ومن المؤاخذات التى يذكرها المتحاملون على عثمان اعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن سعد بن ابى سرح .

وقصة ذلك على ما فى تاريخ الطبرى (٥ ــ ٤٩) ان عثمان لما أمر ابن ابى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له « ان فتح الله عليك غدا افريقية فلك ما افاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة فضلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا ارض مصر ، وأوغلوا فى ارض افريقية ، وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما افاء الله عليهم ، وأخذ خمس الخمس ، وارسل بأربعة أخماس الخمس الى عثمان مع ابن وثيمة النصرى ، فشكا وفد ممن كان معه الى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد فقال لهم عثمان : انا أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد ، قالوا ــ انا نسخطه ، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده ، فرده ، ورجع عبد الله بن سعد الى مصر ، وقد فتح افريقية .

وقد ثبت فى السنة تنفيل أهل الغناء والبأس فى الجهاد ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى مكافأة سلمة بن الأكوع فى اغارة عبد الرحمن الفزارى على سرح النبى صلى الله عليه وسلم (أنظر المنتقى فى أحاديث الاحكام (للمجد ابن تيمية ٤٣١٤ ، وفى غزوات أخرى ٤٣١٩ ، ٤٣٢٠ ، ٤٣٢١) قال القاضى أبو بكر بن العربى على أنه قد ذهب مالك وجماعة الى أن الامام يرى رأيه فى الخمس ، وينفذ فيه ما أداه اليه اجتهاده وان أعطاه لواحد جاز .

من هو سعد ؟

وعبد الله بن سعد بن ابى سرح صحابى من بنى عامر بن لؤى من قريش ، كان اخا عثمان من الرضاعة استجار له عثمان يوم فتح مكة فأجاره النبى صلى الله عليه وسلم ، وحسن اسلامه ، وكان من عظماء المجاهدين الفاتحين ، ولما اراد الله ادخال مصر فى الاسرة الاسلامية كان ابن أبى سرح فى طليعة الصحابة الذين اكرمهم الله بهذا الجهاد ، فكان صاحب الميمنة فى الحرب تحت لواء عمرو ابن العاص ، وكانت له مواقف محمودة فى الفتوح ، وبعد ان استتب الأمر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وادى النيل اختط ابن أبى سرح لنفسه خطة فى بقعة الجهاد المباركة حول الفسطاط الذى قام عليه أول مسجد للاسلام فى مصر .

وروى البرقى فى تاريخه عن الليث بن سعد انه قال « كان ابن ابى سرح على الصعيد زمن عمر ، ثم ضم اليه عثمان مصر كلها ، وكان محمودا فى ولايته » وهذه الحقيقة التى يقررها الليث بن سعد امام مصر عن امارة ابن ابى سرح على

مصر سنة ٢٥ هـ كانت مقدمة لقيام هذا الادارى العادل بقيادة الجيوش سنة ٢٧ هـ لافتتاح افريقية ، وكان ذلك من أعظم الفتوح ، بلغ منه سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وكان العبادلة على جلالتهم تحت قيادة ابن أبى سرح فى هذا الجهاد ، ثم واصل هذا القائد جهاده سنة ٣١ هـ فى غزاة الأساود ، وفى سنة ٣٤ هـ فى ذات السوارى فلما وقعت الفتنة فى المدينة كتب ابن أبى سرح الى عثمان يستأذنه فى القدوم الى المدينة من طريق العريش والعقبة ، واستخلف على مصر السائب بن هشام بن عمير ، فتغلب على مصر محمد بن أبى حذيفة الذى منع ابن أبى سرح من دخول مصر ، فمضى الى فلسطين واختار الاقامة بين عسقلان والرملة واعتزل الناس الى سنة ٥٧ هـ ، وفى صبح يوم من الأيام وهو بالرملة قال ــ اللهم اجعل آخر عملى الصبح ، فتوضأ ثم صلى ، فسلم عن يمينه ، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه برحمة الله .

(٣) الكتاب المزور على امير المؤمنين عثمان ..

تحدثنا من قبل عن قصة الكتاب الذى زعم من زعم أن أمير المؤمنين كتبه الى عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بأن يقتل محمد بن أبى بكر ، وأن ينكل بمن معه من الثائرين على عثمان .

وذكرنا من ادلة تزوير هذا الكتاب ، وانه لم يصدر عن عثمان ولا عن كاتبه مروان ، ان عثمان ومروان كانا يعلمان ان ابن ابى سرح لم يكن وقتئذ موجودا فى مصر ، لأنه كتب من قبل الى الخليفة يستأذنه فى المجىء الى المدينة وانه فارق مصر ، وتغلب عليها محمد بن ابى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم فى الفسطاط .

وذكرنا ان زعيمى ثوار العراق الاشتر النخعى وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يخرجا منها ــ عند خروج جماعتهما من البغاة عائدين من المدينة الى اوطانهم فى المرة الاولى ، مقتنعين بأجوبة امير المؤمنين عثمان على الشبه التى وجهوها اليه ، فكان من مصلحة مدبرى الثورة ان يبتكروا وسيلة لاعادتهم الى المدينة ، ليجددوا الفتنة ، وكان هذا الكتاب المزور هو الوسيلة المبتكرة لذلك ، وذكرنا شواهد على تعدد الكتب المزورة بأيدى رؤساء البغاة .

فتزوير الكتب فى مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة عليه ، وهم حين قدومهم الى المدينة فى بداية الأمر ، كانوا زعموا انهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها الى الثورة على عثمان ، بدعوى انه غير سنة الله ، فالأشتر النخعى وحكيم بن جبلة وأمثالهم من منظمى الثورة والدعاة اليها ، هم الذين تكرر منهم تزوير الرسائل من قبل ومن بعد لتحقيق غرضهم السيىء المبيت .

واعجب العجب فى أمر الكتاب المزور على عثمان ، وادعاء انه كتبه الى اميره على مصر عبد الله بن سعد بن ابى سرح الذى لم يكن حينئذ موجودا فى مصر ، اعجب العجب فى ذلك أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق ، عن قوافل الثـــوار المصريين فى الغرب عادتا الى المدينة معا فى آن واحد ، مع أن الكتاب المزور موجه الى طائفة واحدة منهما وهى قافلة المصريين .

فمسرحية الكتاب المزور مثلت فى الطريق الغربى الذى كان المصريون فيه وحدهم وكان الراكب المستأجر لحمل هذا الـــكتاب يتعرض لقافلة المصريين ثم يفارقها مبتعدا عنها ، ويكرر ذلك المرة بعـــد المرة ليثير شـــبهتهم فيه ، وكان المفروض لو كان صادقا وغير ممثل لمسرحية تلقنها أن يختفى عن عيـــون اهل القافلة ، ولا يشعرهم بوجوده ، لكنه لما تراءى لهم المرة بعد المرة ، قالوا له ــ مالك ؟ قال ــ أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر ان يصلبهم ويقطع ايديهم وأرجلهم ، فصدقوا ما أريد لهم أن يصدقوه ، ولم يعلموا أن الـــكتاب من تزوير الأشتر وحكيم بن جبلة ، اللذين لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا فى المدينة (الطبرى ٥ ــ ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان فى المدينة لأجله ، الا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ فى غيرها .

فلما عادت قوافل الفريقين ــ العراقيين والمصريين ــ الى المدينة وصـــلتا اليها معا كأنما كانوا على ميعاد ، ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين ، استأجروا راكبا آخر خرج من المدينة قاصدا قوافل العراقيين شرقا ، ليخبرهم بأن المصريين اكتشـــفوا كتابا بعث به عثمان الى عبد الله بن ســـــعد بن أبى سرح فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر (الطبرى ٥ ــ ١٠٥) .

فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه عند وصـــــولهم جميعا فى آن واحد : كيف علمتهم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر ابرم بالمدينة . (يشير كرم الله وجهه الى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية) .

فاجابه الثوار العراقيون بلسان رؤسائهم ــ فضعوه على ما شـــئتم . لا حاجة لنا الى هذا الرجل ، ليعتزلنا .

وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة وأن الغرض الأول والاخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان ، وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم .



(٤) محاباة الأقارب وتوليتهم ..

ومن مؤاخذاتهم لعثمان أنه حابى أقاربه ، وكان يوليهم الادارة فى البلاد ، والقيادة للجيوش . وعثمان لم يول أقاربه محاباة لهم ، بل لكفاءتهم فى صناعة الحكم ، وتفوقهم فى قيادة الجيوش ، ونجاحهم فى انتصاراتهم التى لا يكاد يكون لها نظير .

وليس عثمان أول من ولى رجالات بنى أمية الادارة والقيادة ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أسبق فى اسناد الولايات اليهم ، فقد استعمل عتاب ابن أسيد الأموى على مكة كبرى مدن الوطن الاسلامى فى الصدر الأول ، وولى أبا سفيان بن حرب على نجران ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل غيرهم ، وكذلك فعل ابو بكر فى خلافته ، ثم عمر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : **والنقل عن النبى صلى الله** عليه وسلم فى استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عن أهل العلم ، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عند كل عاقل فى منتهى الظهور .

واذا كان عثمان قد ولى اقاربه لكفاءتهم وتفوقهم ، فان عليا ولى اقاربه من قبل ابيه وأمه كعبد الله بن عباس ، وعبيد الله بن عباس ، وحكم بن عباس ، وثمامة ابن عباس وولى على مصر ربيبه محمد بن ابى بكر الذى رباه فى حجره وتزوج امه بعد وفاة الصديق الأعظم .

قال ابن تيمية : والذين ينكرون ما ينكرون من ذلك على عثمان فى ولاية اقاربه من بنى أمية فان عليا كان فى ذلك ابلغ من عثمان ، واذا ادعى لعلى العصمة مما يقطع عنه السنة الطاعنين ، فان ما يدعى لعثمان من الاجتهاد والذى يقطع السنة الطاعنين اقرب الى المعقول والمنقول (انظر منهاج السنة ٣ — ١٧٣ — ١٧٤) .

(٥) لين عثمان وبعض مظاهره ..

اللين والشدة من الصفات النسبية التى لا يمكن تحديدها فى مختلف الأحوال ، وقد يكون الحاكم لينا فى نفسه ، وفى معاملته لأفراد الناس ، ولا يكون كذلك فى حكمه وتصريفه لأمور الدولة .

وكان أبو بكر موصوفا باللين ، لكنه كان يولى الشديد ، ويستعين به ليعتدل

(البقية على صفحة : ٥٦)



للدكتور : محمد ضياء الدين الريس
رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة

اسرائيل ليست ظاهرة منفصلة أو قائمة بذاتها ، ولكنها أثر الاستعمار أو نتيجته . وهى متلازمة معه ، ولا بقاء لها الا فى حمايته ورعايته .

واذا كان الاستعمار القديم الذى أوجدها قد اندثر أو قضى عليه بفضل الجهاد العربى ، فانها تحاول أن تبقى الآن فى حماية الاستعمار الجديد ، وهو الذى لا بد أن تقضى عليه الأمة العربية أيضا .

فاسرائيل ما هى الا ظاهرة شاذة مفتعلة ، مضادة لسير التاريخ ، ومناقضة لروح العصر والمدنية المتقدمة . ولذا فان نهايتها محتومة ، ومقضى عليها بالزوال — وذلك اذا أجمعت الأمة العربية أمرها ، واتخذت الوسائل القوية الحاسمة ، لتطهير الوطن العربى من هذا الأثر الاخير للاستعمار ، وهو بقية عصر باد ، أو يوشك أن يصل الى نهايته .

بدأ وجود هذه الحركة فى أواخر القرن الماضى — التاسع عشر — وكان هذا الوقت هو الذى بلغ فيه الاستعمار الأوربى ذروته . فكان يتسابق ويتدافع للوثوب على الأقطار فى آسيا وافريقيا ، ومنها بلاد الشرق الأوسط . وجاء الاحتلال البريطانى لمصر — ١٨٨٢ — نذيرا بما ينوى الاستعمار أن يفعله بالدولة

العثمانية ، والأقطار العربية المتصلة بها . فحينئذ فكرت جماعات من اليهود ، المكروهين فى أوربا ، أن هذه هى فرصتهم ليلحقوا بركاب الاستعمار ، ويلتقطوا قطعة من بلاد الدولة العثمانية ؟ وولوا أنظارهم نحو فلسطين بالذات ، لأوهام وخرافات تملأ اذهانهم ، ولأطماع عدوانية يخفونها حتى تتمكن اقدامهم . فظهرت اذن الحركة الصهيونية ، وهى السعى للعودة الى صهيون — القدس — وفلسطين . فلم تكن الا جزءا من حركة الاستعمار العامة ، ومن موجة الاندفاع نحو الشرق العربى ، الذى كانت الدول الأوربية تتطلع الى تقسيمه والتهامه .

• • •

وحانت الفرصة حين انضمت تركيا الى المانيا والنمسا ضد بريطانيا وحلفائها ، فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فحينئذ اقتربت لحظة التقسيم ، ونشط زعماء الصهيونية ، فاتصلوا برجال السياسة البريطانية والتقت الأغراض ، وتم الاتفاق على المؤامرة .

فقد كان هؤلاء الساسة من غلاة المستعمرين واصحاب العقلية البائدة ، الذين يعملون لبناء الامبراطورية ، وتوسيع حدودها ، ويعتقدون أن الاستعمار البريطانى سيبقى الى الأبد . كما انهم كان يستولى عليهم — أيضا — ويوجههم تعصب دينى ، فهم متأثرون بكتب اليهود وأساطيرهم ومعتقداتهم ، ويشاركونهم الحقد والكراهية للدولة العثمانية والعرب . والاسلام . وهذا الجيل من عتاة المستعمرين هم الذين حكموا بريطانيا ، وتصرفوا فى شئون الشرق الاوسط وذلك من بدء الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى نهاية الربع الأول من القرن العشرين .

• • •

خطة قديمة

وكانت سياسة الاستعمار ازاء الشرق العربى قد تبلورت فى تقرير خاص كتبه خبراء وزارة الخارجية البريطانية فى عام ١٩٠٧ ، وجاء فى هذا التقرير :

((ان الخطر ضد الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، فعلى الشواطىء الشرقية والجنوبية لهذا البحر يعيش شعب واحد ، تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعته للتحرر . فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة ، وامكانيات الصناعة الأوربية ، وانتشر التعليم بها ، فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربى . فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة ، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتاخر ، وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجزء الآسيوى . وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة)) .

• • •

ولما حانت الفرصة فى اثناء تلك الحرب ، وعرض زعماء الصهيونية على المستعمرين الانجليز مشروع انشاء وطن لليهود فى فلسطين ، واستطاعوا أن يقنعوهم بأن هذا — الى جانب ارضائه لميولهم الدينية — فيه مصلحة للاستعمار وتثبيت للنفوذ البريطانى فى الشرق العربى ، وحراسة لموارد البترول وقناة السويس وكان الاستعماريون اذ ذاك فى ازمة اقتصادية وحربية وجدوا أن

الاتفاق مع الصهيونيين — فوق أنه يحقق مطامعهم الاستعمارية — سيؤدى أيضا الى مساعدتهم للخروج من الأزمة ، لانضمام الراسمالية اليهودية العالمية الى جانبهم ، وعملها ضد الألمان فى داخل وطنهم بالخيانة وسعيها لاشراك أمريكا فى الحرب الى جانب الحلفاء .

• • •

ومن الوثائق المثبتة للعلاقة الوثيقة بين المشروع الصهيونى والاستعمار الرسالة التى وجهها الزعيم الصهيونى « وايزمان » الى الشعب البريطانى والمسئولين ، ونشرتها صحيفة « المانشستر جارديان » ، والتى قال فيها : .. **« الا ترون انه يمكننا الآن القول بانه اذا أصبحت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى ، ووافقت بريطانيا على اقامة مستعمرة يهودية فيها تحت الحماية البريطانية ، فانه فى خلال عشرين سنة نستطيع أن يكون لنا هناك مليون يهودى أو اكثر ، يشكلون حراسة عملية لقناة السويس ؟ » !!**

وفيما يتعلق بالمشاعر الدينية التى كانت تحرك الساسة الانجليز وكانت تقترن بالتعصب ، فان « وايزمان » — الذى كان على اتصال مستمر بهم — يقول فى مذكراته :

« ينسبون الى فضل الحصول على تصريح « بلفور » .. ولكن الحقيقة أن السبب الرئيسى لفوز اليهود فى الحصول على وعد من بريطانيا بانشاء الوطن القومى اليهودى هو شعور الشعب البريطانى المتأثر « بالعهد القديم » (توراة اليهود) . وان رجالا من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين من أعماق قلوبهم ، ومؤمنين بما ورد فى هذا الكتاب ، ونظروا الينا معشر الصهيونيين كممثلين لفكرة يعتقدون فيها اعتقادا كليا » .

• • •

فكانت نتيجة كل هذه العوامل — السياسية والدينية — أن أصدر اللورد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا وكان أحد هؤلاء المستعمرين المتعصبين — تصريحه المنكود المعروف فى نوفمبر ١٩١٧ ، وذلك بالنيابة عن حكومته ، وهو الذى أعلن فيه تأييد بريطانيا للأغراض الصهيونية ، وتعهدها بأن تبذل أقصى ما فى وسعها لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

صدر هذا التصريح فى صورة خطاب وجهه وزير الخارجية الى اللورد (روتشيلد) — أحد كبار الصهيونيين الراسماليين — ولم تكن بريطانيا قد دخلت فلسطين بعد ، ولم يكن لها أى حق ، قانونى أو دولى فيها ، فكان وعدا صادرا من غير ذى صفة ، ودون رعاية لحق شعب فلسطين فى تقرير مصيره ، فكان تصرفا باطلا .

وكان نص هذا التصريح كما يلى :

« عزيزى اللورد روتشيلد »

يسرنى سرورا كثيرا ان انهى اليك — نيابة عن حكومة جلالته — التصريح الآتى الذى يعلن العطف على المطامح اليهودية وقد عرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية فوافقت عليه .

ان حكومة جلالته تنظر بعين الرضا والتاييد الى اقامة وطن قومى فى

فلسطين للشعب اليهودى . وستبذل أعظم جهودها لتسهيل تحقيق هذا المشروع .

على أنه مفهوم بوضوح أنه لن يعمل شىء يمس الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية التى توجد الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر .

وأكون معترفا بالشكر اذا تفضلت بأن تبلغ هذا التصريح الى الاتحاد الصهيونى » .

هكذا كان بدء هذه الجريمة ، أو هذا المشروع الصهيونى الذى اسموه فيما بعد « اسرائيل » وقد كان — كما بينته هذه الحقائق — مشروعا استعماريا يهدف الى تحقيق مطامع الامبرياليين البريطانيين وأتباعهم الصهيونيين ، وتدفعه مشاعر دينية تعصبية نابعة من معتقدات ضالة .

وقد وضع هذا المشروع ، وأخذ فى تنفيذه دون اعتبار لارادة شعب فلسطين ، بل دون نظر الى وجوده ، فكان مشروعا عدوانيا ظالما مخالفا لكل القوانين والمبادئ . ولذا لم يمكن تنفيذه الا بقوة الاستعمار — قوة السيف والحديد والنار . وعلى مدى ثلاثين عاما (١٩١٧ — ١٩٤٧) رزحت فيها فلسطين تحت الحكم العسكرى المباشر .

ومع أن بريطانيا دخلت فلسطين بمعونة العرب ومتحالفة معهم ، وأخذت الانتداب من عصبة الأمم لكى تدرب شعب فلسطين — كما تقول وثيقة الانتداب — على الحكم الذاتى ، الى أن تصل به الى الاستقلال ، فانها غدرت بالعرب وخانت الأمانة ، فأدخلت الشعب السجون ، وفتكت به ، على حين فتحت باب الهجرة لليهود على مصراعيه ، وسلمت زمامها للوكالة الصهيونية ، فكانت هذه جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبها الاستعمار فى تاريخه الممقوت ، بل أكبر جريمة ارتكبها على الاطلاق ضد الانسانية والعدل والقانون .

وبعد أن أتم الاستعمار القديم تنفيذ جريمته ، سلم البلاد الى شركائه الصهيونيين والى الاستعمار الجديد ، ليواصل حماية الجريمة ، واستمرار نتائجها . فتولت « أمريكا » المهمة بدلا من بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية ، فدفعت بالعدوان مرحلة أبعد . وأكبر خطورة ، وبذلت جهدها لتكسبه صفة دولية . وكانت نتيجة هذا كله المأساة التى نشهدها ويراها العالم ، وهى اخراج شعب بأكمله من وطنه ، ليعيش لاجئا فى الصحراء أو البلاد المجاورة ، واقامة دولة من الغرباء فى هذا الوطن على أساس الاغتصاب ، وصارت مهمة هاته الدولة المصنوعة أن تشن العدوان من حين لآخر على الدول العربية ، وتنهب الأراضى بالقوة ، وتقضى على الأمن والسلام فى الشرق الأوسط ، وهى فى ذلك تخدم الاستعمار ، فتحقق أغراضه ، بأن تستنزف جهود الدولة العربية ، وتقف حاجزا بينها فتمنع وحدتها ، وتعوق نهضتها ، وبذلك تعمل على اخضاع المنطقة للنفوذ الامبريالى لخدمة مصالحها الاحتكارية ، وفى مقدمتها البترول ، وتنفيذ خططه السياسية أو الحربية ، وتظل هكذا قاعدة للاستعمار والتحد[illegible] والعدوان فى الشرق العربى .

فالاستعمار الجديد يقف اليوم وراء هذه القاعدة يحميها ويسندها ، ي[illegible]دها بالأسلحة والأموال ، ويدفعها للقيام بأعمال عدوان أخرى ، وهو لا يختلف فى

اهدافه عن الاستعمار القديم ، فله مثل مطامعه الاقتصادية والسياسية ، وتحركه المشاعر الدينية التعصبية وان كانت وسائله مختلفة لأنها ليست بقوة الاحتلال الظاهر ، وانما بالسيطرة المستترة ، أو باستخدام أدوات له لتنفيذ مآربه ، كما أنه أيضا أكثر حماقة لقلة خبرته ، ولأنه يستولى عليه غرور القوة .

غير أنه فى هذا الغرور يكمن السر الذى سيؤدى الى التغلب عليه وفشله فى النهاية ، فهو لا يدرك روح العصر ، ولا يكاد يعترف بما طرأ على العالم من تطور وظهور قوى مؤثرة تعمل للسلام ، وتناضل من أجل العدل واحترام حقوق الشعوب ، كذلك لا يفهم حقيقة الأمة العربية ، ولا ما حدث من تغير فى أوضاع منطقة الشرق الأوسط .

فحين أصدر المستعمرون الانجليز تصريحهم الذى بدأ به العدوان على فلسطين كانت « الدولة العثمانية » التى تشغل هذه المنطقة فى آخر عهدها ، ولم تكن الأمة العربية قد ظهرت بعد على مسرح التاريخ كقوة سياسية أو دولية أو اقتصادية (١) ، لكن قد مضى الآن على هذا التاريخ خمسون عاما أو أكثر ، وقد زالت الدولة العثمانية وحلت محلها الأمة العربية ، فبدأت نهضتها وأثبتت وجودها وكافحت الاستعمار حتى ظفرت بحريتها ، وقامت فيها دول عديدة مستقلة . فالأمة العربية المتوثبة الطامحة هى التى تشغل الآن منطقة الشرق الأوسط ، وهى تعمل بكل دأب واصرار على تحقيق وحدتها ، واستكمال قوتها ، وطرد الاستعمار فى أى شكل من أشكاله من أرضها ، ولا تتم هذه الوحدة والقوة والتخلص من الاستعمار الا باستعادة فلسطين العربية ، وتوحيد الأرض العربية كلها من المحيط الى الخليج ، وازالة القاعدة الباقية للاستعمار « اسرائيل » من هذه المنطقة لتأمن الشعوب العربية على حريتها ، ويزول عنها الخطر الذى يهددها فى كل وقت ، ويتأكد استقلالها وتتضاعف قوتها .

ولذا فان الواجب على الأمة العربية — وهى صاحبة الحق الطبيعى — وقرينة التاريخ ، ومظهر القانون ، والتى تمثل روح العصر ، تعاونها كل قواه التقدمية أن تجمع كل ارادتها وتحشد كل جهودها لتحطيم هذه القوة المادية ، وهذا شىء فى امكانها ، وقادرة عليه — بالبداهة — كل القدرة ، وما عليها الا أن توفر لنفسها الشروط اللازمة لاحراز التفوق الحربى ، وتحقيق النصر .

والتفوق الحربى يتم بالاسلحة الحديثة — ولا سيما السلاح الجوى — والتدريب والمهارة فى وضع الخطط والتنفيذ ، كما أن من أول شروطه الايمان والاخلاص والشجاعة والاتحاد ، وأن توجهه السياسة الحكيمة التى تضمن بلوغه الى هدفه . فحاضر العرب اذن ومستقبلهم مرهون بعلو الهمة وصدق العزم وقوة الايمان والارادة للنهوض بهذا الواجب ، وما بين العرب والوصول الى أهدافهم — من الاستقرار والسلام والمجد — الا أن يسجلوا نصرا خالدا على عدوهم فى موقعة حاسمة تاريخية تضاف الى أمجادهم السابقة ، أيام ظفروا بانتصاراتهم الداوية : فى « اليرموك وحطين ، والمنصورة ، وعين جالوت » . والله ناصر الحق ومؤيد المؤمنين ■■

---

(١) واذا كان اختيار ذلك الوقت بالذات لوضع حجر الاساس لهذا الشر يدل على مهارة سياسية نادرة كان مخططا لها من قبل فان صحوة الدول العربية كفيلة بافساد هذه « الطبخة » والقضاء عليها ، وهذا يتوقف على يقظتنا وجديتنا فى فرض وجودنا على القوى المعادية . « الوعي »

(٤) تاريخكم ..

ياشباب الإسلام !!

آمنوا بأنفسكم وماضيكم المجيد

للاستاذ : احمد محمد جمال

استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الرياض

كنت استمع ، ذات ليلة ، الى محاضرة عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. القاها مدرس مصرى ، فى أحد الأنديـــة الرياضـــية . وكانت محاضرة قيمة ممتعة . وقام بعض الحضور للتعقيب على المحاضر فى بعض ما ساقه من آراء .. فراعنى أن ينهض أحد الشباب معقبا بكلام سقيم ، يطالب فيه المحاضر بتطبيق مذهب الديكارتية فيما تحدث عنه من تاريخ الامام ، دون أن يبدى رأيا له فى فقرة بعينها من حديث المحاضر أو آرائه ..

كان تعقيبه مجرد تشدق وتظاهر بأنه يعرف شيئا اسمه (الديكارتيـــة) ومفكرا غربيا اسمه (ديكارت) !!

لقد أسفت على هذا الشاب المحسوب على العروبة والاسلام ، وزاد أسفى أنه ليس الوحيد فى دنيا العرب والمسلمين . فهناك الكثير من شبابنـــا العربى المسلم ينحو نحوه ، ويحيا حياته ، اعجابا واصطحابا لنظريات الغربيين على ما فيها من اعوجاج وانحراف . دون ان يلتفـــت الى (ماضـــيه) الحافل بجلائل الفكر النير . وقد صدق عليه قول الشاعر العربى :

واذا فاتك التفـــات الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التاسى

ان الديكارتية .. التى يملأ بها ذلك الشاب فمه ، ويرائى بأنه مثقـــف عصرى ، لانه ينطق بها ، ويطالب المتحدثين بتطبيقهـــا فى منـــاهـــج أبحاثهـــم ودراســـاتهم — هى نظرية ديكارت فى البحث العلمى الذى يجب أن يقـــوم أولا على الشك حتى ينتهى الباحث الى اليقين .

السبق الاسلامى الى مذهب الشك

ولو أن شبابنا العربى المسلم قرأ تاريخه ، ودرس حضارته الفكرية .. لعرف أن المسلمين سبقوا ديكارت واتباعه ودلالبه ، الى نظريته التى يظنون انها حديثة ، وانها ابتكار غربى جديد .

ونحن ــ المسلمين ــ لا نسمى هذه النظرية « مذهب الشك » كما سماها ديكارت واتباعه ، والمتمدحون ببراعته وبلاغته . وانما نسميها (التوثيق) ذلك المبدأ الذى اخذ به علماء الحديث النبوى لمعرفة حقيقة الرواة ، وللتثبت من نص الحديث المروى ، والاستيثاق من حفظ الراوى ، واتقانه ، وضبطه لما يرويه ، وحسبنا أن نشير الى قواعد الجرح والتعديل ، لنعرف مدى تمسك رواة السنة النبوية بمبدأ (التوثيق) .. أومذهب الشك كما يحب أن يسميه العصريون .

ولم يكتف المسلمون بمذهب التوثيق فى رواية الحديث النبوى وحده باعتباره الأصل الثانى أو المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .. بل تجاوزوه الى كتابة التاريخ .. فقارىء كتب التاريخ العربية يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يثبتون الأحداث ، ويروون الأخبار عن عدد من الرواة ، كما هو الشأن فى الحديث النبوى ، وان كانت قواعد الجرح والتعديل لا تطبق كثيرا فى رواية التاريخ . كما يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يكتفون بتقرير الحقائق التاريخية ، دون أن يدخلوا فيها بآرائهم وأهوائهم .. كما هو الحال فى كتابة التاريخ عند الغربيين .

وقد اخذ بعض مفكرى الغرب المحدثين على المؤرخين العرب نقلهم الأحوال التاريخية الموروثة الى الأجيال التالية بدون نقد أو تعليق ، واتهموهم ــ لذلك ــ بضيق الأفق والعجز عن النقد ...

مع أن النظرية العربية فى كتابة التاريخ هى الأصوب ، والأسلم من تداخل الآراء الخاصة فى صلب الأحداث والأخبار ، مما يبتعد بالرواية عن مبدأ التوثيق ، وقد أيد النظرية العربية فى كتابة التاريخ من المؤرخين الغربيين العصريين : (أكتون) و (كريتون) اللذانناديا بعدم الاسراف فى تفسير الحوادث ، وطالبا بأن يكتب التاريخ بطريقة موضوعية ، مع مراعاة الأمانة ، فى وصف الأحداث ، والبعد عن المبالغة والتهويل .

وتمشيا مع مبدأ (التوثيق) فى كتابة التاريخ دعا ابن خلدون الى فحص الحقائق ، والتأكد من صحتها ، وتمحيص الأسباب التى أنتجتها .

ومن مظاهر (التوثيق) الذى سبق اليه المفكرون المسلمون : تلك الاجازات التى كان العلماء يمنحونها لتلاميذهم اذنا لهم بالتدريس أو الفتيا أو رواية الحديث النبوى ، بعد أن يستوثقوا من أمانتهم ومقدرتهم وصلاحهم .

وكما سبق الفكر الاسلامى الى مبدأ التوثيق ــ الذى يطلقون عليه اليوم (الديكارتية) ــ فى تفسير القرآن ، ورواية الحديث النبوى ، وكتابة التاريخ .. طبق علماء اللغة ، هذا المذهب فى الاستعمالات اللغوية ، فراعوا فى وضعهم لأصول اللغة العربية وقواعدها ما راعاه علماء الحديث النبوى ــ ومن ذلك تقسيمهم اياها الى متواتر وآحاد . .وعنوا بالمتواتر : لغة القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب . وكان هذا النوع الدليل القطعى ، واشترطوا للتواتر أن يبلغ عدد النقلة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب . وأما غير المتواتر فهو ما تفرد بعض اهل اللغة بنقله ، ولم يتحقق فيه شرط التواتر .

امثلة من ائمة التوثيق :

ونضرب بعض الأمثلة من ائمة التوثيق ــ فى المناهج الفكرية الاسلامية ــ

لشبابنا الذى يتغنى بمذهب الشك عند ديكارت ، ويجهل أن فى تاريخه الاسلامي سبقا الى ما هو مثله في موضوعه ، ولكنه افضل واكمل ..

فالامام الغزالى حجة الاسلام — سبق الى مذهب الشك . فهو يقول فى كتابه (المنقذ من الضلال) : انه كان منذ شبابه في طلبه للعلم يتوغل في كل مظلمة ، ويتهجم على كل مشكلة ، ويتفحص عقيدة كل فرقة ، ويكشف أسرار مذهب كل طائفة . ولا يغادر باطنيا ولا ظاهريا ، ولا فلسفيا ولا متكلما ، ولا صوفيا ولا متعبدا ولا زنديقا الا بعد أن يعرف دوافعهم ومعارفهم واسرارهم وبراهينهم .

ويقول الغزالى في كتابه (ميزان العمل) موجها نصيحته الى طالب العلم : اطلب الحق بطريق النظر . ولا تكن فى صورة أعمى مقلد . وانما خذ الحق أينما وجدته » .

وكان شعاره فى عمله الفكرى : « لا تعرف الحق بالرجال ، بل أعرف الحق تعرف أهله » .

ويقول الدكتور عمر فروخ تعليقا على مذهب الامام الغزالى فى تحصيل العلوم والتفقه فى الدين عن طريق الشك الباحث فى حقائق الأمور : « ان هذا الموقف الذى وقفه الغزالى من الدين لا نجده عند معاصريه من الأوربيين ، ولا عند الذين جاءوا من بعده . فما كان بالامكان أن يفترض مفكر أوروبى أن النصرانية لا تثبت صحتها الا بالعقل ، كما فرض الغزالى أن الاسلام الموروث عن الوالدين لا قيمة له ما لم يقم فى نفس كل مسلم مفكر برهان على صحته » .

. . . .

والمثال الثانى على سبق الفكر الاسلامى الى مذهب التوثيق : هو الفيلسوف (ابن رشد) الذى يحث على النظر فى الموجودات واعتبار ما تقتضيه منها شرائط البرهان ، فما كان موافقا للحق قبلناه ، وما كان غير ذلك نبهنا اليه وحذرنا منه » .

والمثال الثالث : ابو اسحاق النظام .. الذى يعتبر (الشك) اساسا للبحث ويقول : الشاك اقرب اليك من الجاهد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل احد من اعتقاد الى أعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال « شك » أما (التجربة) فقد استخدمها النظام كما يستخدمها رجال الطبيعة والكيمياء اليوم فى معاملهم ، واجرى تجاربه على الحيوانات والطيور والأفاعى لمعرفة تأثير الخمر عليها !

فأين يقف (ديكارت) ومذهبه فى الشك .. أمام هذه الثروة الضخمة الفخمة من سوابق الفكر الاسلامى فى مذهب التوثيق : شكا فبحثا فيقينا ؟ .

من سوابق التفكير الاسلامى التربوى :

ومن الشبهات والتهم التى يغالط بها شبابنا العربى المسلم : زعم بعض المستشرقين — أمثال كارادى فو — انه لم يوجد فى الشرق ذوق فطرى للتعليم ، ولا ميل للبحث عن المناهج العقلية ، ولا رغبة فى مسائل التربية ، ولا اهتمام بأمر الطفولة الخ ..

ولازالة هذه الشبهات من أذهان شبابنا ، وأبطال هذه المزاعم — نذكر

بعض ما دافع به مفكرونا وعلماؤنا ، ثم نشير الى شيء يسير من حقائق السبق الاسلامى فى مجال التربية والتعليم .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق (ان المسلمين لم يتخلفوا عن غيرهم فى ميدان التربية والتعليم . فقد كتب أئمتهم ومفكروهم فى موضوع التربية والتعليم منذ القرون الأولى . وكانت لهم أنظار طريفة لم يخلق تطاول الزمن جدتها) .

ويقول الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى كتابه (التربية فى الاسلام) : لا نزاع فى أن العرب قد بلغوا فى القرون الأولى الاسلامية درجة عظيمة من الحضارة .. انتشرت من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . ولا حضارة بغير علم ، ولا علم بغير تعليم ، ولا تعليم بغير نظام معين يرتب الصلة بين المعلمين والتلاميذ ، ويفصل المناهج وطرق التربية وسائر ما يتصل بالتعليم من أدوات »

اذن فهناك تربية اسلامية ، وتعليم اسلامى منذ القرون الأولى . بل هناك مؤلفات تربوية وضعها مفكرون اسلاميون أمثال ابن كنون ، والقابسى ، والغزالى ، وابن خلدون ، وغيرهم . ولم يضعها المسيحيون العرب كما زعم المستشرق الفرنسى كارادى فو ...

ويتحدث الدكتور الأهوانى فى كتابه عن رسالة (القابسى) فى تعليم الأطفال ، فيؤكد انها من الحجج التى تذهب بالوهم الذى علق بالأذهان ، وهو أن المسلمين لم يهتموا بتعليم الأطفال ، وتثبت أن المسلمين ابتكروا فى التربية آراء جديدة لم يصطنعوها عن العرب المسيحيين ، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية ...

ورسالة القابسى هذه ترفعه الى قائمة قادة التربية ، وتضعه فى سجل المبرزين .. فهى ترسم منهجا تربويا رائعا ، يشمل واجب الآباء نحو أبنائهم — ومؤهلات المعلمين ومسؤولياتهم — وطرائق تعليم الأطفال — ومراقبة سلوكهم — وتحديد العقوبات التى ينبغى أن تنزل بالمخالفين منهم مع النهى عن عقوبة الانتقام — وتعويد الأطفال على الاستقلال الشخصى — والرفق فى معاملتهم . وقد دعا القابسى فى رسالته الى تعليم البنات فى حدود طبيعتهن ووظيفتهن ، كما نادى (بالتعليم الالزامى) فدل بذلك على تقدم الفكر الاسلامى التربوى ، وعلى سبقه للحضارة العصرية .

وهناك سوابق تربوية وتعليمية فى رسائل اخوان الصفا — وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لاحمد بن مسكويه — وفى كتاب (السياسة) لابن سينا — ومؤلفات الغزالى — وكتاب (تعليم المتعلم ..) للزرنوجى — وفى مقدمة ابن خلدون الخ .

وحسبنا أن نشير هنا الى سبق ابن سينا الى القول بمسايرة ميول الطفل ثم توجيهه الى الصناعة أو المهنة التى تتفق مع ميوله ، فقد ألزم معلم الطفل أن يسبر قريحته ، ويزن طبعه ، ويختبر ذكاءه .. ثم يختار له الصناعة التى تتفق مع استعداده . وهو رأى — كما يقول الدكتور الأهوانى — من الآراء الحديثة فى التربية وعلم النفس !

كما سبق الزرنوجى علماء التربية الحديثة الى طريقة التكرار الموزع على عدة أيام لضبط المعلومات وتذكرها . هذه — يا شباب الاسلام — صفحات أخرى من تاريخكم تشعركم بالفخر ، وتدعوكم للذكر ، وتلزمكم بالعمل ■■

نسمات من أفياء الأقصى

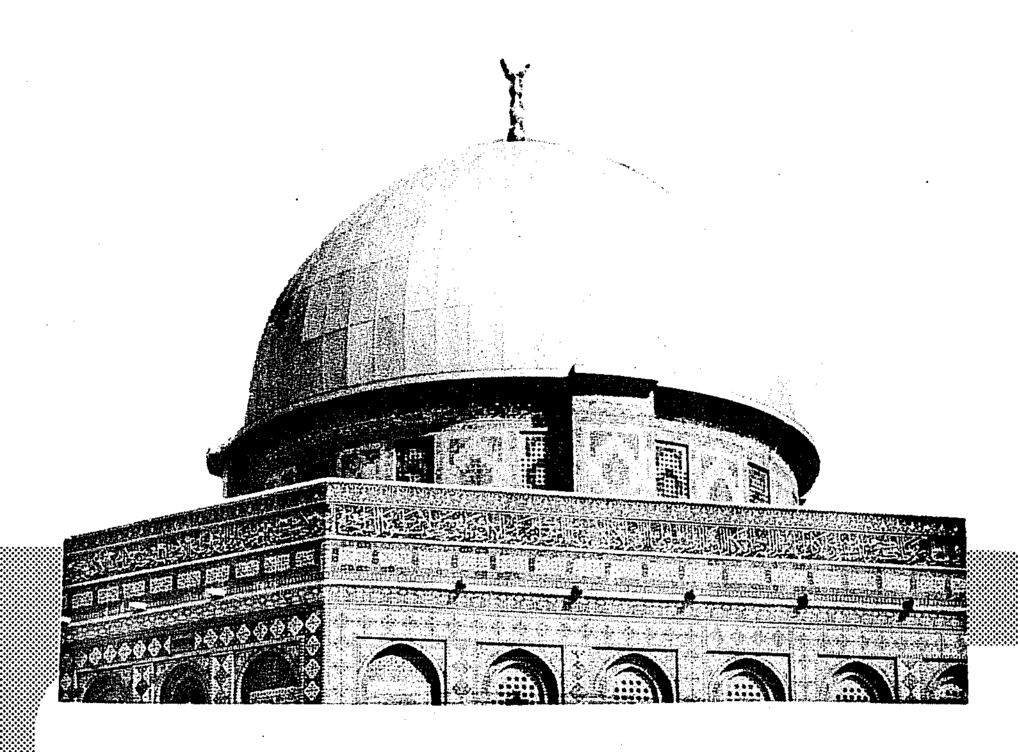
للأستاذ : يوسف العظم - عمان

أشرق الكون بالصباح وحيا — في بلادي مرابعا ونجودا
ومشى الفجر باسما في رباها — يلثم الطير والندى والورودا
تربها طاهر يفوح شذاه — كم حوى عالما وضم شهيدا
وفروع الزيتون والتين باتت — نضرات تداعب العنقودا
وخرير الغدير في افقها الرحب — تناهى ترتيلة ونشيدا
تلك ارض الاسراء والنور تاهت — بالنبيين ركعا وسجودا

★

كل شبر من أرضها ضمخته — دفقات من مهجة لشهيد
وعلى كل ذروة من رباها — هينمات من دعوة التوحيد
والنجوم التي اطلت علينا — في سماها تروى تراث الجدود
شرحبيل الذي يقود السرايا — ومعاذ وخالد بن الوليد
ولواء الايمان يخفق بالنصر — ويمضي في عزة وصمود
يا لحطين صيحة تتعالى — وتدوى في أرضنا من جديد

★



ومع الليل والظلام تراءت — من بعيد فيالق العدوان
تحمل الموت والدمار وترسى — فى بلادى قواعد الطغيان
ولغت فى الدم الزكى لطفل — ولشيخ محدودب الظهر فان
وابادت من الصغار جموعا — روعت بعد هداة وأمان
المحاريب أظلمت بعد فجر — فيه تسرى ترتيلة القرآن
والأذان الحزين دوى جريحا — فسمعنا الاذان غير الاذان

*

سنة الكون والحياة عرفنا — لا يلاقى الرماح الا الرماح
أو يخيف العدو غير رجوع — لهتاف ترتج منه البطاح
فيه روح اليرموك تسرى يقينا — لا صراخ وضجة وصياح
فيه حطين عزة وفداء — ودماء زكية وجراح
فيه وعى وعفة وضياء — فيه حق ورحمة وسماح
ولئن مزق الظلام حمانا — فليبدد ظلامنا اصباح

إلى الإنسان

كن نسمة حب حانية   تسرى فى الأفق النشوان
كن نبضة خير من قلب   تنساب الى قلب ثان
كن فرحة طفل ترسمها   بضياء القلب .. العينان
كن نورا يشرق من أمل   يشدو بأحب الألحان
وربيعا مزدهرا ، حلوا   يسرى فى قلب الانسان
أو نبعا بالروح يحيى   ويعانق روح الظمآن
ويغنى للطير الشادى   ما بين الأيك الفينان
أو زهرا فى الروض ينادى   بالعطر .. بسحر الألوان
قد نسق .. لكن فى فوضى   زادت من حسن البستان
وتفرق .. لكن بنظام   من صنعة رب الانسان
تسقيه النسمة فى حب   من نبع الحب الملآن
كن عطرا ينساب طليقا   كالحلم بدنيا النعسان
كن طيرا بالحب يغنى   فيثير حنين الأغصان
كن ومضة نور دافقة   من مشرق نور الايمان
وصلاة من قلب تقى   تسمو لرحاب الديان
ودعاء يرفعه قلب   يشكو من ليل الأحزان
وعطاء يمحو مأساة   صاغتها كف الحرمان

* *

للأستاذ : ابراهيم محمد نجا

كن سيفا صلبا بتارا — لكن .. فى وجه الطغيان
أقتله .. مزقه اربا — فقتيلك صنو الشيطان
انظر بنيان الكفر علا — فى أرضك .. تبا للبانى
فاضربه بمعولك الماضى — ينقض أساس البنيان
والشر الأحمر منساب — فى روضك مثل الثعبان
فاسحقه بعنف وبحقد — أو يشرب من دمك القانى

* *

ستقول ظلام الليل طغى — طغيان الموج الغضبان
والنبت الأخضر تسلمه — للموت يد القيظ الجانى
والماء يجف ، لأن الـ — قيظ يجفف ماء الغدران
واقول ، ففكر فى قولى — وتأمل فيه بامعان
هل أشرق فجر لم يمحق — بسناه دجى ليل فان ؟
وهدى الايمان .. ألم يسحق — بالعزم .. ضلال الأوثان ؟
والنهر .. أيمتد بعيدا — من فوق صخور القيعان
لو أبصر فى الأرض صخورا — فارتد كسير الوجدان ؟
هل يظهر ضوء لم ينفذ — من بين ضلوع الجدران ؟
فاثبت .. لا تستسلم أبدا — وتقدم بين الفرسان
بعزيمة جيش منتصر — وبقلب نبى انسان

من تاريخنا القريب

العرب بين دولة الخلافة والاستعمار الغربي

مقدمات ونتائج

للشيخ : طه الولي - بيروت

في هذه المرحلة التاريخية التي تعتبر أخطر مرحلة تمر بها بلادنا ، اجد من الضروري ان اضع أمام قراء (الوعي) دراسة سريعة عن تطور الحركة العربية التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وما أدت اليه هذه الحركة بالنسبة للبلاد العربية في أعقاب تلك الحرب الضروس ، ليرى القراء كيف أن للشر الذي يحيط بنا الآن جذورا يجب أن يعرفوها ، ويركزوا جهودهم عليها ليستأصلوها .. ويعرفوا كيف انخدع البعض منا فقام في وجه الدولة التي كانت في نظر الغرب تمثل الاسلام ، ومن أجل ذلك عمل على القضاء عليها وجر بعض المسلمين معه ليشاركوه في عملية الاجهاز التي أرادها ، وحين تم له ما أراد ظهر على حقيقته أخطر عدو للاسلام والمسلمين ..

عوامل تاريخية :

قبل أن تصبح الحركة العربية القومية حقيقة واقعة مرت فكرتها في مراحل كثيرة ، وكانت أولى بوادر ملامح الوعي القومي عند العرب في العصور الحديثة سنة ١٨٧٥ ميلادية . وذلك حين تنادى فريق من المثقفين السوريين الى تكوين جمعية سرية تطالب المسؤولين في الدولة العثمانية باستقلال سورية بكامل حدودها الطبيعية التي كانت في حينها تضم الأجزاء المعروفة اليوم : فلسطين (التي يحتلها اليهود) والمملكة الاردنية الهاشمية التي هي عبارة عن بقايا اشلاء فلسطين الممزقة في الضفة الغربية من نهر الشريعة المعروف بالأردن وبلاد البلقاء التي سماها الانتداب الانكليزي شرقي الأردن . والجمهورية اللبنانية التي شكلها الانتداب الفرنسي من بعض ولاية بيروت القديمة مضافا اليها متصرفية جبل لبنان الممتازة والأقضية الأربعة ، حاصبيا وراشيا ومعلقة زحلة وبعلبك . والجمهورية العربية السورية وهي الجزء الداخلي من بلاد الشام الذي احتفظ حتى الآن بالاسم التاريخي لمجموعة هذه المناطق المذكورة .

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى داخل الامبراطورية العثمانية عن طريق الاعتراف بالعربية لغة رسـمية للبلاد وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة من أهالى المنطقة الا ضمن حدودهم الاقليمية .

ولم يكن الوعى القومى قد بلغ أشده فى ذلك الحين بين الناطقين بالضاد نظرا لتداخل العاطفة الدينية بالحماس الوطنى ، فجاءت حركة هــذه الجمعية القومية خلجات مبهمة تحاول تلمس الكيان العربى من خلال الاحساس بالذات

وكان هدف هذه الجمعية السرية تحديد معـــالم الوجود العربى القومى لغويا وعســكريا فقط ، وفى ذلك يقول أحد ســـياح الفرنجة د. دى ريفوير D. De. Rivoyer فى انطباعاته عن زيارته لســورية فى أواســط النصف الثانى من القرن الماضى : « .. ويلوح فى الأفق البعيد طيف حركة عربية ولدت حديثا .. وسيقوم هذا الشعب الذى كان مغلوبا على أمره حتى الآن بالمطالبة عما قريب بمركزه الطبيعى فى عالم الاسلام وفى توجيه مصير هذا العالم » .

الا أن نسمات الفكرة العربية لم تجد فى أفق البلاد الجو الصالح لتفاعلها واستمرارها لأن العالم العربى الممتد من ســواحل الأطلنطى فى الغرب الى الخليج العربى فى الشرق تعرض فى أكثر البلدان لغزو الاســـتعمار الاوروبى الذى تسابقت ممالكه وجمهورياته لاقتســام سلب الامبراطورية العثمانية التى كانت تلقب يومئذ بالرجل المريض .

ففى سنة ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر بحجة الثأر لقنصــلها من ضربة المروحة التى وجهها اليه الداى . وفى سنة ١٨٨٠ نزلت جيوشــها فى تونس تحت ستار الحماية . وفى سنة ١٨٨٢ أناخت بريطانيا بكامل جيوشــها البرية وأساطيلها البحــرية على أرض مصر متذرعة بحــادثة أحمد عرابى المشهورة . وفى سنة ١٩١١ فاجأت قوات ايطاليا ســاحل طرابلس الغرب بخيلها ونيرانها . وهكذا بدا للنــاس فى الشرق العربى أن بلادهم قد تعرضت من جديد لحرب صليبية تستهدف كيانهم القومى وعقائدهم الدينية فى آن واحد . فلم يجدوا بدا من العودة بعواطفهم الوطنية الى المناخ الدينى فوضعوا أنفسهم طائعين تحت لواء الدعوة الاســلامية الذى رفعه المغفور له ســاكن الجنان السلطان عبد الحميد الثانى بواسطة داعية جرىء قدير هو جمال الدين الأفغانى الذى اتخذ من مصر منطلقا لحركته الفكرية الروحية تحت شعار : تحرير الاسلام من السيطرة الأجنبية : (على أن يكون هــذا التحرير القــومى مقدمة لبعث عقائدى يعقبه توحيد الديار الاسلامية من جديد وتنصيب خليفة عليها يرضى عنه الجميع) .

وبالفعل فان الســـلطان العثمانى وجد فى معركة الافغانى التى دعيت يومها : « بحركة الجامعة الاسلامية » ما كان يرجوه من القضــاء على النزعة العنصرية التى كانت تهدد وحدة امبراطوريته بالانحلال والتفكك ، كما وجد فيها أيضا أداة فعالة لوقف انهيار الدولة العثمانية تحت ضربات الغزاة الأوروبيين الذين أصبحوا فى نظر جميع المسلمين ، عربا وغير عرب ، أحفاد الصليبيين الذين يتوجب على كل مسلم محاذرتهم ومحاربتهم حفاظا على الاســلام وأرضه وأهله من غائلة العدوان والابادة .

بيد أن دعاة العروبة لم يقنطوا من البحث عن الوسيلة التى يستعيدون بها المبادرة مرة أخرى من يد السلطان العثمانى ودعاة سياسته الذكية ، وبالفعل ، فان هؤلاء العروبيين عثروا على هذه الوســـيلة بقلم الكاتب الحلبى المعروف



الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الذى تحلى بالمرونة واللباقة وســـــاير الجماهير العربية من مواطنيه بقبول فكرة الجامعة الاسلامية ، ولكنه ذهب الى القول بأن خليفة العالم الاسلامى لا يجوز الا أن يكون عربيا ومن قريش بالذات . وهذا ما كان عمليا ، يتناقض تمام التناقض مع أغراض الســـــياسة العثمانية . بل انه بالعكس ، يتفق تمام الاتفاق مع أهداف الدعوة القومية العربية ولو تحت ستار الفكرة الدينية التى كانت فى ذلك الحين الغذاء الروحى الجذاب لعواطف الناس الوطنية فى ذلك الحين .

ازدهار الفكرة القومية فى الجناح الآسيوى من البلاد العربية :

لقد كان من نتائج وقوع شمال افريقيا العربى فى قبضة الاحتلال الأجنبى ، أن الوطنية العربية فى تلك البلاد اختارت لنفسها الشعارات الدينية للافادة من الروابط الروحية التى تشدها الى دولة الخلافة الاسلامية فى صراعها المميت مع المستعمرين الأجانب ، من أجل الحرية والاستقلال . وكان التناقض الديني بين افريقيا العربية المسلمة وأوروبا ســـببا رئيسيا فى ابتعاد اخواننا المغاربة عن الشعارات التى رفعها عرب المشرق فى وجه السياسة التركية لتحقيق وجودهم القومى .

وعلى هذا فلقد تابعت آسيا العربية ســـبيلها فى الدعوة الى التمييز بين العنصرين العربى والتركى فى الادارة والجيش والشؤون الثقافية معتمدة على تأييد المراجع الغربية التى كان من مصلحتها توسيع الثغرة بين العناصر القومية التى كانت تشكل المجتمع العثمانى ، والعرب بطبيعة الحال فى مقدمة هـــذه العناصر لأنهم كانوا يشكلون جغرافيا وعدديا أكبر مجموعة داخل هذا المجتمع . وعلى الرغم من حرص القائمين بالفكرة العربية على مراعاة الرأى العام العربى فى شعوره الموالى لدولة الخلافة العثمانية باعتبارها رمزا لوحدة الاسلام فى العالم ، بالرغم من هذا الحرص ، فان بعض اللبنانيين الجبليين لم يســـتطيعوا كبح عواطفهم السلبية من السلطة العثمانية ، فأطلق اليازجى أحد شـــعرائهم المعروفين فى أواخر القرن الماضى صيحته المثيرة المدوية .

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب »

فى قصـــــيدة طويلة تغلى فى ابياتها وكلماتها مراجل الحقد والـــكراهية والاهاجة ضد العنصر التركى . ولكن شعور بعض المفكرين المخلصين بمطامع الاستعمار الغربى ، وادراكهم لما يتحينه من الفرص للانقضاض على بقية البلاد العربية جعلهم يسعون الى ايجاد نظام جديد يكفل للعرب حقوقهم الســـــياسية وحريتهم ونصيبهم الفعلى فى ادارة شؤون الامبراطورية دون الانفصال عنها » .

وهكذا بقيت الروح العربية فى أغلب مظاهرها دائرة فى فلك الاســـتمرار العثمانى مع التطلع الى كيان قومى خاص فى اطار هذا الفلك الذى كان جميع المسلمين فى العالم والعرب من جملتهم ، يريدون له البقاء ليكون لهم رداء ومجنا يتقون به غائلة التدخل الأجنبى الذى كان يتحاشاه الجميع ويحاربونه بكل قوة .

الجمعيات العربية فى محاولاتها القومية الاولى :

وعندما أشرف القرن الماضى على نهايته وبدت طلائع القرن الحالى كانت الأحداث الدولية تتوالى بشكل مثير ، الامر الذى جعل أصحاب الفكرة العربية

يبادرون الى تنظيم انفسهم تارة بالسر ، واخرى بالعلن ، لكى يكونوا قادرين على الافادة من الظروف السياسية لتحقيق اهدافهم القومية وفى سنة ١٩٠٨ وقع فى اسطمبول عاصمة السلطنة العثمانية انقلاب سياسى أجبر السلطان عبد الحميد الثانى على اصدار دستور حديث يحد من نفوذ العرش فى ادارة البلاد ، وهو ما كان يطلق عليه فى حينه « المشروطية » ونظرا لتردد عبد الحميد فى تنفيذ هذا الدستور ، ومحاولة العودة بالوضع الى سابق عهده ، فان جمعية الاتحاد والترقى التى نظمت الانقلاب ، وفرضت الدستور تابعت حملتها التى أدت فى النهاية الى خلع السلطان نهائيا عن الخلافة والملك ، وجلوس أخيه السلطان محمد رشاد المعروف بمحمد الخامس مكانه فى قصر يلدز .

وكان من الطبيعى ان يحاول دعاة الفكرة العربية مع أركان جمعية الاتحاد والترقى المذكورة ، لعلهم يحققون لفكرتهم بعض أسباب التقدم داخل اجهزة الدولة التى أصبحت جميعها تحت سلطان هذه الجمعية وأنصارها .

بيد أن الوقائع كانت على غير ما اشتهت الآمال ، اذ أن الاتحاديين كانوا أشد من سابقيهم فى التعصب للقومية التركية والحقد على القوميات الأخرى لاسيما العربية بالذات ، اذ سار هؤلاء على سياسة عنصرية متزمتة واصروا على حكم الامبراطورية العثمانية على أساس سيادة العنصر التركى . كما انتهجوا ادارة مركزية شديدة لا تتفق وحركة سير القوى التى ولدتها اليقظة القومية العربية . فما لبث قادة الفكرة العربية أن تراجعوا عن التعاون مع الحاكمين الجدد ، وانصرفوا الى تكوين الجمعيات الخاصة ببنى جلدتهم فى البلاد العربية .

وهكذا شهدت الأوساط العربية مولد :

ا ـ جمعية (العربية الفتاة) التى تسعى الى تحقيق استقلال البلاد العربية وتحريرها من الحكم التركى .

ب ـ حزب اللامركزية الادارية العثمانى .

جـ ـ جمعية الاصلاح .

د ـ المؤتمر العربى الأول .

هـ ـ الجمعية القحطانية .

و ـ جمعية العهد .

وكل هذه الجمعيات والأحزاب والمؤتمرات كانت تعمل على تنبيه المشاعر القومية فى البلاد العربية ، دون أن تجنح الى الخروج عن دائرة الولاء للتاج العثمانى الذى كان يعتبر آنذاك ، رمزا روحيا لوحدة العالم الاسلامى ، بازاء القوى الأوروبية التى يؤلف بينها اتجاهها الدينى ..

ومما يؤكد الروح العثمانية عند العرب ، لاسيما المسلمون منهم ، الحادثة التالية .

عندما افسحت الحكومة الفرنسية لقادة العرب بأن يعقدوا مؤتمرهم الأول فى باريس سنة ١٩١٣ ، كان أيوب ثابت ـ أحد الذين تولوا أمانة سر الدولة فى لبنان أيام الانتداب الفرنسى ـ يتردد خلسة على وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس ، ويؤكد لموظفيها أن اللبنانيين والسوريين بأكثريتهم الساحقة على اختلاف اديانهم يتمنون أن تحتل فرنسا بلادهم وأن تنقذهم من الظلم التركى .

ولاحظ سليم على سلام المعروف (بأبو على سلام) — والد صائب سلام أحد رؤساء الحكومات اللبنـــانية فى عهد الاستقلال وزميله أحمد مختـــار بيهم (والد أمين بك بيهم رئيس المجلس البلدى فى بيروت حاليا) ذلك التردد ورجحا أن يكون رفيقهما أيوب ثابت ساعيـــا الى ترويج السياسة الفرنسية فحفظـــا الأمر فى صدريهما .

ولما انتهى المؤتمر رأى كبار المؤتمرين أن يزوروا وزارة الخارجية الفرنسية ليشكروها على ســـماحها لهم بعقد مؤتمرهم فى باريس . وقد قاموا بالزيارة فاستقبلهم الأمين العام لوزارة الخـــارجية معتذرا بأن الوزير غائب ، وأنه كان يود أن يستقبلهم شخصيا .

وفى أثناء حديث المجاملات وتبادل العواطف بين فرنسا وســـورية اغتنم ابو على سلام المناسبة وقال لممثل فرنسا : (يهمنا يا سعادة السفير أن تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا فى مصير بلادنا . فنحن اذا طالبنا باللامركزية وبالحقوق العربية المهضومة — فاننا شديدو الاخلاص لسلطنة جلالة أمير المؤمنين الخليفة الأعظم ، ولا يمـــكن ان ننســـلخ عن سلطنته ولا يخطر ببالنا مطلقا أن نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا . وهذا كلام اصدقاء يشكرون لفرنسا عطفها على أمانى العرب وخدماتهم لهم !) .

وقد أيد المرحوم أحمد مختـــار بيهم كلام زميله ، فامتقع وجه أمين وزارة الخارجية الفرنسية ، ولكنه كتم غيظه اذ كان ينتظر عكس الذى سمعه ! . .) .

ثورة الشريف حسين بن على :

ونتيجة لاحتقان الأوضاع السياسية فى أوربا لاســـيما فى بلاد البلقان انفجرت براكين الحرب العـــالمية الاولى سنة ١٩١٤ واصطلت بنيرانها الدول الكبرى فى الشرق والغرب على حد سواء ، وقد اختارت الامبراطورية العثمانية جانب ألمانيا فتحالفت معها ضد دول الحلفاء ، وهكذا أصبح المسلمون آليا فى الجهة المعادية للحلفاء الأمر الذى دعا هؤلاء وفى مقدمتهم انكلترا الى استدراج أحد الزعماء المسلمين لشق عصا الطاعة على الخليفة العثمانى ، وبالتالى ايصال تأثير هذا الأخير على مسلمى العالم حتى يأمن الحلفاء على الاســـتقرار فى مستعمراتهم الاسلامية ، فلا تستجيب شعوبها لداعى الجهاد الذى اعلنه أمير المؤمنين من سدة الخلافة العظمى باسطمبول .

ولم يعـــد خافيا أن دوائر الاســـتخبارات الانكليزية بثت عملاءها فى ديار العرب بحثا عمن يستجيب للتعاون معها تحت تأثير العوامل القومية اذا كان ذلك أمرا لا بد منه ، على أن الوفود التى حملت الرغبات الانجليزية الى النـــافذين فى الجزيرة العربية فشلت فى مهمتها لدى امام اليمن يحيى حميد الدين وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود وغيرهما من أمراء المناطق الموزعين فى هذه الجزيرة ، ولم تجد من يتجاوب معها الا شريف مكة حســـين بن على الذى كان يحمل فى نفسه شيئا على المسؤولين فى اسطمبول لأسباب تتعلق بامارته الروحية على الديار المقدسة ، فضلا عن مطامحه فى أن يصل الى خلافة عربية أو على الأقل الى عرش يدعم سلطان ملكيته على البلاد العربية كلها فضلا عن الحجاز نفسه . وعندمـــا انطلقت رصـــاصة الحسين من شرفات قصره بمكة المكرمة اعلانـــا للثورة العربية على السلطنة العثمانية تجاوب معها كثير من الضباط العرب فى الجيش العثمانى والتحقوا بالشريف فى مكة المكرمة ليقـــودوا القبـــائل البدوية

التى استأجرها الانجليز من أجل اشغال القوات العثمانية بضرب مؤخرتها فى بلاد العرب ، وتخريب مواصلاتها لشل تنقلاتها العسكرية ما بين مركز القيادة وبين المناطق التابعة لها .

وبالرغم من أن الشريف حسينا كان يتصرف وكأنه مقتنع بالوعود والعهود التى قدمها اليه السير هنرى مكماهون باسم الحلفاء ، فان هؤلاء كانوا فى الواقع ينظرون الى حركته الثورية من خلال مصلحتهم العسكرية والسياسية ، وذلك فى اضعاف التأثير المعنوى للجهاد الدينى الذى أعلنه خليفة المسلمين فى اسطمبول ، وبالتالى للحيلولة دون تمكين القوات العثمانية من مساعدة حليفتها القوات الالمانية فى جبهات الحرب الاوروبية ، وهذا ما كشفت عنه المذكرات التى نشرها أركان الجيوش الحليفة وزعماء الانكليز السياسيون فيما بعد .

سايكس ــ بيكو وأثرها على الحركة العربية :

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الاولى حدث انقلاب ضخم فى روسيا القيصرية حولها الى بلاد شيوعية ، وأدى الى انسحاب الروس فجأة من الحرب ، واذاعتهم لكثير من الأسرار والاتفاقات التى كانت خافية على أصدقاء الحلفاء ، والعاملين لحسابهم ، ومن جملة هذه الاسرار والاتفاقات كانت المعاهدة التى اتفق على تنفيذها الانجليز والفرنسيون فى البلاد العربية ، فى حال انتصارهم على أعدائهم من الالمان والعثمانيين .

وخلاصة هذه المعاهدة كما هو معروف ، توزيع البلاد العربية المؤلفة من سورية والعراق بينهما تحت مصطلح سياسى جديد سموه : الانتداب ، وترك شبه الجزيرة العربية لحكامها المحليين من الشيوخ والامراء على أن يكونوا من الناحية العملية بيد السياسة الغربية توجههم بما يتفق ومخططاتها الاستعمارية فى سائر انحاء المنطقة التى تشمل الشرق الأدنى بأكمله .

وصحيح أن اذاعة هذه المعاهدة الغادرة أحدث ردود فعل سلبية لاسيما فى أوساط الضباط العرب ، لكن « الشريف حسين » كان قد بلغ فى تورطه مع الحلفاء ضد خليفة المسلمين الحد الذى لم يعد يسمح له بالتردد أو التراجع عما أخذ نفسه به ، فتابع نهجه تحت شعارات الفكرة العربية ، حتى وضعت الحرب اوزارها ، وأصبح وجها لوجه أمام الواقع المرير ، وهو احتلال الأجانب لبلادنا ، وتقسيمها فيما بينهم الى أجزاء مبعثرة ، فى شكل دويلات هزيلة ، يحكمها فى الظاهر رجال من العرب .

الاحتلال :

فى آخر ايلول سنة ١٩١٨ سكتت اصوات المدافع على كافة الجبهات الحربية فى الشرق والغرب ، وارتفعت أصوات المؤتمرين فى فرسايل ، وهم يتناقشون فى تقرير المصير النهائى للمهزومين فى البلاد التى اعتبرها الحلفاء عدوة لهم ، وكانت بلادنا فى الشرق العربى فى نظرهم بلادا عدوة رغم الجهود التى بذلها العرب من أجل مصلحة هؤلاء الحلفاء ، والاتفاقات الرسمية التى عقدوها مع ممثليهم فى القاهرة .

وعندما رفعت شقيقة الأخوين محمصانى اللذين أعدمهما الاتراك خلال الحرب ، الراية العربية المربعة الألوان على السراى الكبير فى بيروت أمر القائد

الفرنسي بانزالها على الفور لأن السـلطة فى سـورية ولبنان قد انتقلت من العثمانيين المهزومين الى الفرنسيين المنتصرين دون أن يكون لأهالى البـلاد أى رأى أو قيمة فى الموضوع !

وبانطواء العلم العربى عن أفق بيروت ، انتهى الحلم الجميل الذى عاشه البيروتيون لمدة أسبوع واحد ، واختنقت فى الصدور زغاريد الفرح والابتهـاج التى انطلقت بها الحناجر بعد أن بحت من الهتاف لمجد العرب واسـتقلالهم ووحدتهم .

لقد كان نزول مشاة البحرية الفرنسية الى بيروت يجوسون خلال أزقتها وشوارعها بخيلهم ورجلهم فى ٨ تشرين الأول سنة ١٩١٨ ، صـدمة مروعة أيقظت رجال الحركة العربية من أعوان الشريف حسـين ، وابنه الأمير فيصل على الواقع المرير ، الذى انتهى اليه كفاحهم الى جانب الحلفاء ، الأجانب ، ضد دولة الخلافة الاسلامية التى كانت على أى حال تعتبرهم رعية عثمانية ، شأنهم فى الادارة والحكم والجيش شـأن أى مواطن عثمانى آخر مهما كانت لغته أو قوميته أو دينه .

على أن العرب لم تذهلهم الصدمة فلم يستسلموا لذل الخيبة والخسران ، ولم يستكينوا لما حاق بأمتهم ووطنهم من سوء المنقلب . فما لبثوا أن تنادوا من جديد للم شعثهم ، وجمع كلمتهم لاستئناف معركتهم القومية ضد الاحتلال الأجنبى الذى رأوا فيه انتهاكا لحرمة العهود والمواثيق الرسمية ، وتحديا معيبا لميثاق الشرف الذى جعلهم ينفكون عـن ولائهم للدولة العليـة العثمـانية ويربطون مصيرهم بأغراض الدول الاجنبية .

اعلان الاستقلال :

وبينما كان الحلفاء مجتمعين فى سان ريمو سنة ١٩٢٠ لتنفيذ ما تعاقدوا عليه فيما بينهم أثناء الحرب من اتفاقات سرية أو علنية ، وقرروا بالفعل توزيع سورية والعراق بين فرنسا وانكلترا على أن تكون الاولى فى شطرها الشمالى من حصة فرنسا ، ويكون شطرها الجنـوبى مع كامل بلاد العراق من حصة انكلترا . .

بينما كان الحلفاء فى هذا الصدد ، تنادى رجال الحركة العربية الى اجتماع قومى حافل فى ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ أى من السنة نفسها بمدينة دمشق عرين العروبة وظئر الاسلام ، وأعلنوا استقلال سورية ــ التى تضم أيضـا فلسطين ولبنان ــ دولة ملكية دستورية يقوم على رأسـها الامير فيصل بن الحسين . وحذا حذوهم رجالات العراق الذين انتخبوا الامير عبـد الله بن الحسين ، شقيق فيصل ، ملكا عليهم .

فرنسا وبريطانيا تفرضان سياستهما بالقوة :

ولكن هذا الموقف الصامد للوطنيين العرب فى سـورية والعراق لم يرق للحلفاء الذين وجدوا فيه تحديا لمشروعاتهم الاستعمارية فى المنطقة ، وحائلا دون تحقيق وعودهم التى قطعوها لعمـلائهم من الصـهيونيين ، وبعض الأقليات

الاخرى ، فما عتموا ان فتحوا النار الفرنسية على السوريين فى خان ميسلون ودكوا استقلال سـورية فى ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ ، كما فتحوا النار الانكليزية على العراقيين ، ودمروا مدائنهم وقراهم وحريتهم فى عمليات عسكرية وحشية أظهروا فيها كل ما عنـــدهم من مقدرة على (تمدين) العرب بالنار والحديد والبطش الشديد !! وما هى الا عشية أو ضحاها حتى دخلت سورية الداخلية ثم تبعها العراق فى أتون الانتدابين الفرنسى والانكليزى وتوارى عرشا فيصل واخيه عبد الله عن دمشق وبغداد خلف حجاب صفيق من قوات الحلفاء التى كانت خلال الحرب صديقة العرب ، ثم أصبحت بعدها العـــدو الذى لا يرحم ! . .

وبزوال استقلال سورية والعراق دخل الكفاح العربى مرحلة جديدة على اساس جديد .

أوضاع عربية جديدة وكفاح عربى جديد :

بفضل القوة العسكرية الساحقة استطاعت عصبة الأمم التى كانت أداة مسخرة لمصـــالح الحلفاء المنتصرين أن تفرض الانتداب الانكليزى على العراق وجنوبى سورية . والانتداب الفرنسى على شمال سورية داخلا وساحلا .

ولقد أتاح هذا التوزيع الاعتباطى لبلادنا بين انكلترا وفرنسا أن تتصرف كل منهما فى حدود منطقتها بما يتلاءم ومخططاتها الاستعمارية محليا وخارجيا .

أما فرنسا فقد قطعت شمال سورية الى أشلاء مشـوهة ، تفصل بينها حـدود وهمية مصطنعة واطلقت على كل شلو منها لقب دولة : دولة حلب ، دولة حماة ، دولة الدروز ، دولة دمشق ، دولة العلويين ، دولة لبنان الكبير .

واما انكلترا فانها بعد ان اخمدت أنفاس الثورة العراقية بـــكل شراسة وعنف ، وحاولت الانتقام من العراقيين بتقطيع وطنهم الى ثلاث دويلات :

دولة للأشوريين والأكراد فى الشمال .

دولة بغداد فى الوسط .

كما أوعزت الى عملائها فى الجنوب بأن يتقدموا الى الحـــاكم الانكليزى بطلب انضمام متصرفية البصرة واراضى شط العرب الى الادارة الهندية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية .

ولكن هذه المحاولة الرخيصة لم يمكنها أهل العراق من البروز الى حيز الوجود ، وحافظوا على وحدة ترابهم القومى سليمة تحت تاج الملك فيصل الأول رحمه الله .

وفى جنوبى سورية استطاع الانكليز تقســـيم المنطقة التابعة لهم الى جزئين ، أطلقوا على أحدهما لقب : امارة شرقى الاردن ، وجعلوا عليها الامير عبد الله بن الحسين حاكما من قبلهم .

واطلقوا على الجزء الثانى فلسطين . هيئوه ليكون وطنا قوميا لليهـــود تحقيقا للوعد الذى قطعه الوزير البريطانى بلفور لهذه الطائفة سنة ١٩١٧ جزاء عمالتها للمصالح الانكليزية قبل الحرب وخلالها :

وهكذا أصبح الشرق العربى فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ! . .



بذلك أمره ، ويخلط الشدة باللين ، لأن مجرد اللين يفسد ، ومجرد الشدة تفسد ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ومختصره المنتقى للذهبى (ص ٣٦٢) قال : ولهذا كان ابو بكر يستعين باستشارة عمر ، وباستنابة خالد ، وهذا من كماله الذى صار به خليفة رسول الله ، ولهذا اشتد فى قتال أهل الردة ، وبرز بشدته فى ذلك على شدة عمر .

وعمر كان شديدا فى نفسه ، فكان من كماله استعانته بأهل اللين ليعتدل امره ، فكان يستعين بأبى عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابى وقاص ، وأبى عبيدة الثقفى ، والنعمان بن مقرن ، وسعيد بن عامر ، وامثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهدا وعبادة من مثل خالد بن الوليد .

وعثمان كان يقتدى فى لينه بسلوك ابى بكر فى لينه ، فيستعين لكل أمر باكفائه ، ويحل المشاكل المالية بالتضحية لحلها من ماله الخاص ، لذلك كان المجتمع فى مدة خلافته الطويلة اسعد مجتمع نعرفه ، كما وصفه الحسن البصرى ومحمد بن سيرين فيما نقلناه عنهما من قبل .

وبلين عثمان الشخصى المزوج بوجوه الشدة التى كان يستعين بها وباهلها كانت جيوشه تضرب فى انحاء الأرض فاتحة ظافرة ناشرة كلمة الله فى كل مكان .

وقد يذهب ذاهب الى ان لين عثمان كان اعظم مظاهره موتفه من دعاة الفتنة لما احاطوا به فى المدينة لينزعوا عنه القميص الذى البسه الله اياه باجماع الأمة خاصتها وعامتها ، وما كان هذا من لينه ، بل ليقينه انه مقبل على لقاء الله شهيدا شهادة كان موعودا بها من النبى صلى الله عليه وسلم فى اكثر من مرة .

لكن قد يكون من لينه انه لم يقمع أسبابها الاولى ، وهى تتكون خارج المدينة من دعاة الفتن متسلطا عليهم ابليس اليهود عبد الله بن سبأ ، ولعله تهاون فى مطاردتهم وقمعهم ، وهم لا يزالون فى بداية التآمر والتدبير ، لاعتقاده ان دعوتهم لن تستشرى فى حكم صالح ، ذاق الناس فيه حلاوة العدل والاحسان ، فهو يقول فى نفسه : **انى تجنبت فساد الشدة والاستعلاء على الناس ، ومهدت لهم من أسباب السعادة ما استطعت ، فما اظن ان اللين الذى عندى وهو من فطرة الله يبلغ بهم حد الفساد ، بكفر النعمة والغفلة عما هم فيه من عز الفتوح ، والاغتباط ، بانتشار الاسلام ، والتمتع بثمرات ذلك فى الدنيا والدين .**

ومما لا شك فيه أن من مظاهر اللين الذى فطر عليه عثمان اصغاؤه الى شكاوى الشاكين من ولاته ، ولو بغير حق ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ان عثمان كان لين العريكة ، كثير الاحسان والحلم ، فكان اذا شكا له بعض الحجاج واليا لهم أن يستبدله فيرضيهم .

((للحديث بقية))



للشيخ / عبد المنعم النمر

رد اعتبار بعد ٣٠٠ سنة !!

قرأت خبرا فى صحيفة (الأهرام) الصادرة فى الثانى من يوليو فتح شهيتى للكلام ، بعد أن أصابها جو الصيف الحار بالكسل ، كما يصيب المعدة ، ويجعلها تعزف عن الطعام .. كان هذا الخبر هو ما يأتى تحت هذا العنوان :

« اعادة محاكمة جاليليو لتبرئته من حكم عمره ٣٠٠ سنة » :

لنداو (ألمانيا الغربية) فى أول يوليو . رويتر . أعلن الكاردينال فرانز كونج كاردينال النمسا أن الكنيسة الكاثوليكية سوف تعيد محاكمة العالم الايطالى جاليليو ، لاعادة النظر فى الحكم الذى كانت قد أصدرته الكنيسة ضده فى القرن السابع عشر ، وقال الكاردينال كونج ان لجنة خاصة سوف تؤلف لهذا الغرض فى محاولة للتقريب بين العلم والدين ، **وكانت الكنيسة قد حكمت بالاعدام على جاليليو منذ ثلاثة قرون لأنه أعلن أن الشمس — وليست الأرض — هى مركز الكون » اهـ .**

ولا أريد هنا ان اتحدث عما كان يفرضه رجال الدين فى الغرب — باسم الدين — من قيود على التفكير ، ومطاردتهم لكل انتاج عقلى يخالف آراءهم . والحكم عليه أو على صاحبه بالاعدام كما حدث لجاليليو .. لا أريد ان أتحدث عن هذا فهو معروف حتى لطلاب الثانوى الذين يدرسون الحركة العلمية فى الغرب أو النهضة الأوروبية .. ولكن الذى يشدنى للحديث هو رد الفعل الذى تركه الاضطهاد الفكرى فى الغرب من تمرد على سلطة الكنيسة العامة فى كل شئون الحياة ، وحصر سلطانها فى المراسم الدينية الخاصة وداخل جدرانها .. أو ما سمى بفصل الدين عن الدولة ..

هذا الفصل الذى جعلوه منهج حكمهم وتسييرهم لدفة شئون الحياة فى الدولة هناك ، كان رد فعل لما عانوه من تدخل رجال الدين فى كل شىء ، وفرض سلطانهم على كل تفكير ، ومطاردتهم — كما قلت — لكل ما يخالف آراءهم مما يعتبر الحكم على جاليليو بالاعدام مثلا له ..

هذا الذى حدث فى الغرب من اضطهاد الفكر . وما أعقبه من رد الفعل كان حدثا محليا يرتبط بالبيئة التى حصل فيها . وبالظروف التى ادت إليه .. ومن الخطأ البين أن نأخذ النتيجة التى ادت اليها تلك الظروف الخاصة هناك . ونعلنها فى بيئات اسلامية لم تحدث فيها تلك المقدمات ؛ ونفرضها على مجتمعات

لم تعان من اضطهاد الفكر ما عانته المجتمعات الغربية .. بل كانت على العكس منها تعيش فى ظل الحرية الفكرية المنطلقة الى آفاق البحث فى كل جانب من جوانب الحياة العلمية ..

فمن الظلم البين — إذن — أن نفرض عليها النتيجة التى ادى اليهـا اضطهاد الفكر ومحاربة العلم والعقل فى مجتمع آخر .. لأن فرض العزل الصحى مثلا على مرضى لا يبيح بداهة أن نفرضه على أصحاء ..

فليس معنى اطلاق شعار فصل الدين عن الدولة هناك أن نتبنى هذا الشعار عندنا ، ونفرضه على تنظيم حياتنا .. ونتخذه قاعدة فى حكمنا على شئوننا ، ونحصر الدين داخل المسجد وفى مسائل الطلاق والزواج !!

ولقد كان من سوء حظ بلاد الاسلام انها ابتليت بالاستعمار . الذى جعل من اهم أهدافه الحيلولة بيننا وبين ديننا ، وأن تكون الطليعة التى تولت ادارة شئوننا ، وتوجيه سياستنا قد تعلمت كلها أو أغلبها فى أوربا ، ولم يكن عندها المام كاف عن دينها . وعادت مأخوذة بما رأته هناك ، وما حصلت عليه من علم ، فساعد هذا وذاك على تبنى هذا الشعار وفرضه على حياتنا ؛ فنتج عن ذلك عزل الاسلام عن الحياة ، واصبحت النظرة اليه هنا كنظرتهم هناك الى دينهم ، واصبحنا لا نهتم بالدين الا كوسيلة لتدعيم السياسة ، حتى ولو كان الدين بريئا من هذا التدعيم ..

كما أصبحت كلمة الدين السليمة غير مقبولة اذا رئى فيها انها تخـالف الاتجاه السياسى ، ونتج عن ذلك وجـود أشخاص من المتكلمين باسم الدين يتاجرون به للحصول على مركز ، أو الوصول الى مغنم !!

نتيجة وصلنا اليها هنا لأننا بسوء نظرتنا وفهمنا قلدنا الغرب فى شعار تبناه ، وكان له العذر فيما فعل . بينما لا عذر لنا فى تقليده ، وفى تجهمنا لديننا الذى أعلن حرية الفكر منذ وجوده ، ولم يحدث على مر تاريخه أن حد من انطلاق العقل ، أو فرض علماؤه سلطانهم على العقول فحالوا بينها وبين التفكير الحر .

خطا ارتكبه غيرنا ، فى مجتمع غير مجتمعنا ، وكنا ابرياء من هذا الخطا ، ولكنا مع ذلك تحمسنا لفرض عقوبة هذا الخطا علينا وعلى ديننا وحياتنا ، وتحملنا نحن وديننا أوزار غيرنا ، فكيف يجوز هـذا المنطق ؟ وكيف يعيش ويروج ؟

. . . .

حديث ذو شجون

جاء يقول لى فى اهتمام : نسمع كثيرا فى هذه الأيام : اننا اذا اردنـا الانتصار فلا بد من الرجوع الى الدين . فهل صلاتنا وصيامنا وحجنا يضمن لنا الانتصار ، ونحن نعرف أن الانتصار يحتاج الى تدريب وأسلحة .. الخ ؟ ..

قلت له : ان فهمك لمعنى الرجوع الى الدين فهم محدود وقاصر .. ولعل السبب فى تكوين هذا الفهم عندك أنك نشأت فى ظل مجتمع لا يرى من الدين الا العبادات المفروضة المعروفة ، ففهمت أن الدين قاصر على هذه العبادات .. وأن من اداها فقد قام بواجبات الدين كله !!

وهذا ما أراده الاستعمار وأراده الذين سيطروا على شئوننا ردحا من الزمن ، حتى لا يتدخل الدين فى أعمالهم وأساليب حكمهم .. وفهمك هذا ثمرة من ثمرات نجاحهم فيما أرادوه مع الأسف !!

ان الاسلام ينظم كل شأن من شئون حياتك ، وله فيها رأى وتوجيه : فى البيت ، والشارع والمدرسة ، والمصنع .. والمزرعة والمتجر .. وفى ديوان العمل ، وفى أسلوب الحكم .. وميدان الحرب .. كل شىء فى حياتك رسم الاسلام له طريقة . وأساسه : الاخلاص والاتقان ، ومراعاة الله المطلع على السر والعلن .

فاذا قلنا الرجوع الى الدين أو الرجوع الى الله ، فمعنى هذا مع أداء العبادات أن نباشر كل أعمالنا باخلاص ونؤديها باتقان .. لأن الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه . وهو فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .. ويريد من كل واحد منا أن يجيد عمله مهما يكن نوع هذا العمل .. ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . ويعد لعدوه ما استطاع من قوة ، ولا يفر أمامه لأنه يطلب النصر أو الجنة ..

فلو راعى كل واحد منا دينه فى عمله ، واتقى الله فيه ، لقلت الشكوى ، وقويت الثقة فيما بيننا ، ولم نجد متكاسلا ولا خائنا ولا ماجنا ، ولا مستهترا ، ولا ظالما ، ولا حاقدا حاسدا .. أو على الأقل نقضى على كثير من هذه الظواهر الضارة .. وحينئذ ننهض فى كل مرفق من مرافق حياتنا ، ونكون بذلك قد أعددنا العدة للنصر على الأعداء ..

هذا فى اختصار معنى الرجوع الى الله ، أو الرجوع الى الدين ..

قال : هذا معنى جميل . ونحن فعلا فى حاجة ماسة الى أن نحقق فى حياتنا هذا المعنى . لأننا بغير الحرص عليه لا يمكن أن نتقدم خطوة .. وسنبقى نكرر الأخطاء ، وتتكرر الهزائم والمآسى . ولكننى وكثيرين معى لم نفهم معنى الرجوع الى الله أو الدين على هذا المعنى الواسع الجميل ..

قلت : الذنب ليس ذنبكم وحدكم ، ولكنه ذنب التربية التى تربيتموها فى جو بعيد عن الفهم الصحيح للدين .. حتى أصبحتم تسخرون من كل داعية مخلص .. وتتهكمون عليه ، وتعدونه كأنه دخيل عليكم ، أنتم فى واد وهو فى واد .. مع أنه لا يخترع شيئا ، بل يتحدث ويدعو باسم الله واسم رسوله . ويذكركم بالقرآن وبالسنة .. وأنتم تفضلون هواكم على قول الله وقول الرسول .. وتؤثرون ظواهر المدنية الكاذبة على حقائق الاسلام وآدابه .. مع احساسكم الداخلى بأنكم تسيرون فى منحدر الى هاوية سحيقة .. وتبتعدون عن الله . وصوت القرآن يناديكم : ((**استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم**)) .

وتأمل معى قليلا قوله تعالى : ((**لما يحييكم**)) فالحياة هنا هى حياة الأمة المعنوية الحياة القوية الفاضلة العزيزة الناهضة .. لا حياة الجبناء الأذلاء التعساء التى هى الموت الحقيقى . أو التى هى حياة كل حيوان . ومع دعوة الله هذه للحياة بمعناها الجميل نرفض الاستجابة لصوت الله ، ونؤثر عليه

اصواتا اخرى تغرينا بمختلف أنواع الاغراء ، فنسير وراءها غير مدركين تماما لحقيقتها ولا للمآل الذى تدفعنا اليه . .

فهل يذنب الداعى الى الله حين يدعوكم لما يحييكم حتى تتجنبوه وتسخروا منه ، بينما تحتفلون بكل داع الى المجون والانحلال ، والى ما فيه فساد الفرد وضياع الأمة ؟؟ !!

قال : انك تصور حقيقة واقعنا المر . . هذا الواقع الذى اسلمنا الى ما هو امر منه . ولا ندرى ماذا يكون فى مستقبل ايامنا ومستقبل اولادنا ؟ ان الأولاد يقبلون على « التلفزيون » حينما يعرض أغنية او تمثيلية فاذا جاء موعد حديث دينى اغلقوه . . وتلك ظاهرة مؤسفة !!

قلت له : هى مؤسفة حقا . . ولكن لو ان الآباء فى البيت اعتنوا بالاستماع لهذه الأحاديث لسرت العدوى او القدوة الطيبة منهم للأولاد . . ومع ذلك فاننى ارجو ان يعنى المختصون بتخطيط البرامج بتقديم تمثيليات قصيرة قائمة على غرس المعانى الدينية والخلقية فىالنفوس ، ليمكن جذب الجيل الجديد اليها وتربيتهم عن طريقها . . لاننا كمربين وموجهين يجب علينا أن نتحسس الوسائل التى تشد المستمع والمشاهد ، لنصل بذلك الى ما نريد . . والتمثيليات وسيلة مهمة جدا فى هذه الناحية ، بل ان الأغنية التى تلفت الاسماع والقلوب الى المعانى الكريمة وسيلة كذلك لا يمكن أن ننكر أثرها . .

قال : ان هنـــاك تمثيليات او افلاما تعرض مشــــهدا فيه « مأذون » يعقد عقد الزواج ، او مدرسا للغة العربية فتتعمد عرض المأذون او المدرس العربى وحديثهما بصورة تثير الهزء والاستخفاف بالدين واللغة العربية معا وهذا بلا شك يترك اثره السيىء فى النفوس .

قلت له : نعم أعرف ذلك واعرف انه من معـــاول الهدم للدين واللغة فى النفوس . . فى الوقت الذى لا نرى فيه رجلا من غير رجال الاسلام يتعرض لمثل هذا ، بل يحاط بالاجلال . . وهذه طريقة خبيثة . لأنه اذا عرض شكل العالم بعمامته فى تمثيلية مثلا بشكل يثير الهزء والضـــحك انطبعت فى الأذهان — ولاسيما أذهان الصغار — هذه الصورة ، فلا يمكن لهم بعد ذلك أن يثقوا بمن يلبس هذا الزى أو يتقبلوا منه توجيها . . وبهذا يحال بين الشباب وبين التوجيه الدينى من أربابه والمتخصصين فيه . . ومع الأسف نرى بعض كتابنا ورسامى الكاريكاتير عندنا ينسجون احيانا على هذا النهج ويسممون الآبار كما يقال . .

قال : ومتى تنتهى هذه الموجة ؟

قلت : حين تكون هناك عناية مخلصة بالدين واللغة وكل ما يتصل بهما ، وتكون هناك غيرة صحيحة عليهما . .

قال : وممن ننتظر هذه العناية وهذه الغيرة ؟

قلت : من الجميع ، ولكن من المسئولين أولا عن توجيه امورنا ، وقيادة سفينتنا ،

فادع الله معى لهم بالتوفيق . .
فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

بحوث فى فقه الزكاة : "٢"

الزكاة فى العمارات والمصانع

هل تجب؟ وما نصابها؟ وما مقدارها؟ وكيف تزكى؟ ومتى؟

للأستاذ : ي . ق

تحدث الكاتب فى مقـــاله السابق عن الزكاة فى رءوس الاموال النامية كالعمارات والمصانع وغيرهما مما يدر دخلا ونيرا لأصحابها وذكر ادلة القائلين بوجوب الزكاة عليها اجتهادا منهم وادلة الواقفين عند الأشياء المنصوص عليها . وهنا يتابع بحثه لتكملة هذا الموضوع .

المبحث الثانى

كيف تزكى العمارات والمصانع ونحوها ..

الأموال النامية التى اوجب فيها الاسلام الزكاة نوعان :

الأول : نوع تؤخذ الزكاة من أصله ونمائه معا ، أى من رأس المال وغلته ، عند كل حول . كما فى زكاة الماشية وعروض التجارة ، وهذا لتمام الصلة بين الأصل وفوائده وغلاته ، ومقدار الزكاة هنا هو ربع العشر ، أى ٥ر٢٪ .

الثانى : نوع تؤخذ الزكاة من غلته وايراده فقط ، بمجرد الحصـــول على الغلة دون انتظار حول ، سواء كان رأس المال ثابتا كالأرض الزراعية ، أو غير ثابت كنحل العسل ، ومقدار الزكاة هنا هو العشر أو نصـــــفه ، أى ١٠٪ أو ٥٪ .

فعلى أى أساس تعامل هـــذه الأموال النامية الجديدة ؟ وكيف نأخذ منها الزكاة ؟ أنأخذ الزكاة من رأس المال ، وما بقى من غلته كما فى أموال التجارة ؟ أم نأخذ من غلته وايراده فقط كما فى الحبوب والثمار والعسل ؟

رأيان قديمان فى زكاة الدور المؤجرة ونحوها ..

ولعل كثيرا من المتصـــــلين بالفقه يظنون ، بل قد يؤمنون أن الدور التى

تكرى للناس بأجر ، وتدر فى كل عام أو فى كل شهر مالا وايرادا متجددا ، لم ينص أحد من الفقهاء على حكم فى زكاتها ، لأنها لم تكن مما عمت به البلوى ، وانتشر بين الناس ، واحتاجوا فيه الى حكم حاسم .

وهذا التعليل حق ، ولكن وجدنا رغم ذلك من فقهائنا من يقول بتزكيتها ، وان اختلفوا فى معاملتها والنظر اليها : أتعامل معاملة رأس المال التجارى ، فتقوم كل حول ، وتؤخذ الزكاة منهـا ربع عشر قيمتهـا ؟ أم يغض النظر عن قيمتها ، وتؤخذ الزكاة من غلتها وايرادها اذا بلغ نصابا مستوفيا لشروط الزكاة ؟

الرأى الأول : أن تقوم وتزكى زكاة التجارة ..

هذا الرأى يعامل مالك العمارة الاستغلالية ، والطائرة والسفينة التجاريتين ونحوها معاملة مالك السلع التجارية ، فتثمن العمارة كل عام . مضافا اليها ما بقى معه من ايرادها ، وتخرج عن ذلك كله ٥ر٢ ٪ ككل عروض التجارة .

وقد وجد فى فقهاء السنة ، وفى فقهاء الشيعة من ذهب هذا المذهب .

رأى ابن عقيل الحنبلى ..

ففى فقه أهل السنة وجدت هذا الرأى للفقيه الحنبلى أبى الوفاء ابن عقيل ـــ وهو عالم قوى الذهن ، ناضج الفكر ، خصب الاستنتاج ، وقد نقل عنه هذا الرأى المحقق ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » نقل الموافق المقر . قال ابن عقيل مخرجا على ما روى عن الامام أحمد فى تزكيته حلى الكراء : يخرج من رواية ايجاب الزكاة فى حلى الكراء والمواشط ، أن تجب فى العقار المعد للكراء ، وكل سلعة تؤجر وتعد للاجارة .

قال : وانما خرجت ذلك عن الحلى ، لأنه قد ثبت من أصلنا أن الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا أعد للكراء وجبت ـــ فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشأ ايجاب الزكاة فى شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشىء ايجاب الزكاة .

« يوضحه أن الذهب والفضة عينان تجب الزكاة بجنسهما وعينهما ، ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع ، غلبت على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء فغلب على الاستعمال ، وأنشأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان التى لا زكاة فى جنسها »(١) .

هذا ما ذكره ابن عقيل تخريجا على مذهب أحمد . ونحن نقول : ان ما ذهب اليه الامام أحمد من اسقاط الزكاة عن الذهب والفضة اذا استعملا فى حلى مباح ، ومن ايجابها فى الحلى اذا أعد للكراء ، مذهب قوى ، يستند الى أصل هام فى باب الزكاة وهو : أن لا زكاة فى مال غير نام ، أو مشغول بالحاجة الأصلية ، وانما الزكاة فى المال النامى وهو الذى يدر على صاحبه كسبا ودخلا .

والحلى المباح المستعمل للزينة واللبس مال غير نام ، ومشغول بحاجة صاحبته ، فاذا أعده للكراء فقد خرج عن ذلك الى حيز النماء ، وأصبح صالحا للدخول فى « وعاء الزكاة » .

وهو قول لمالك أيضا كما ذكر ابن رشد(٢) .

واذا طبقنا هذا على العقارات والأثاث والسيارات والسفن والطائرات والماكينات والأجهزة الصناعية المختلفة ، اتضح لنا هذا الحكم : أن لا زكاة فيها اذا كانت للاستعمال الشخصي ، فاذا أعدت للكراء ، وغدا من شأنها أن تجلب نماء وربحا ، فقد غدت صالحة لوجوب الزكاة ، وزكاتها في هذه الحال كزكاة عروض التجارة نصابا ومقدارا .

ومعنى هذا أن مالك العمارة أو الأتوبيس أو الطائرة أو الفندق أو محل الفراشة أو أى سلعة تؤجر وتعد للاجارة ـ كما قال ابن عقيل ـ عليه ـ فردا كان أو شركة ـ أن يقوم عقاراته أو ماكيناته ، فاذا عرف قيمتها ضم اليها ما لديه من رأس المال النقدى ، وما له من ديون مرجوة ، كما يصنع التاجر في رأس ماله ، ثم يخرج ربع عشرها زكاة .

ولا يقال : ان هذه الأشياء رأس مال ثابت ، فيجب أن يعفى من الزكاة ، كما يعفى الأثاث الثابت في حوانيت التجارة ، لأنا نقول : ان هذه الأشياء الثابتة هنا هي نفسها رأس المال النامي المغل الذى به تجلب المكاسب والأرباح ، وانما يعفى ما لم يكن مقصودا للكسب من ورائه ، كالأرض والمبانى التى توضع فيها الماكينات الصناعية ، لأن الماكينات هى المقصودة ، بخلاف الارض والمبانى فى العمارة والفندق والسينما ونحوها ، فان المبنى نفسه هو الذى يجلب الفائدة والمال .

مذهب الهادوية ..

وفى فقه الشيعة وجدت صاحب البحر الزخار ـ وهو سجل جامع لمذاهب علماء الأمصار أهل سنة وشيعة ـ قد نقل عن الهادوية من الشيعة الزيدية أنهم ذهبوا الى ايجاب الزكاة فى المستغل من كل شىء ، لأجل الاستغلال ، لعموم قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » . ولأنه مال قصد به النماء فى التصرف فكان كمال التجارة ، فيزكيه اذا بلغت قيمته نصابا(٣) .

اعتراضات المانعين ..

وقد اعترض على هذا الرأى بعض الفقهاء الذين يميلون الى التضييق فى ايجاب الزكاة ، مثل الامام الشوكانى فى « الدرر البهية » ، وشارحها صديق حسن خان فى « الروضة الندية » .

ولا يبعد ممن يقول : ليس فى الخضراوات ولا فى البقول ولا فى أموال التجارة زكاة . أن يقول : ليس فى المستغلات كالدور والدواب التى يكريها مالكها زكاة .

وجملة ما احتج به فى الروضة يرجع الى شبهتين : احداهما : تتعلق بالمنقول من الخبر ، والثانية تتصل بالمعقول من النظر .

أ ـ فأما الخبر فحديث « ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة » وهو يصرح بنفى الصدقة عن فرس المسلم نفيا عاما ، وهذا النفى يشمل حالة استغلاله بالتجارة أو بالكراء .

وأما الشبهة الاخرى فهى أن ايجاب الزكاة فيما ليس من الأموال التى تجب فيها الزكاة . بالاتفاق كالدور والعقار والدواب ونحوها ، بمجرد تأجيرها

بأجرة بدون تجارة فى أعيانها ، مما لم يسمع به فى الصدر الأول الذبن هم خير القرون ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فضلا عن أن يسمع فيه بدليل من كتاب أو سنة .

وقد كانوا يستأجرون ويؤجرون ، ويقبضون الأجرة من دورهم وضياعهم ودوابهم ، ولم يخطر ببال أحدهم أن يخرج فى رأس الحول ربع عشر داره أو عقاره أو دوابه ، وانقرضوا وهم فى راحة من هذا التكليف الشاق ، حتى كان آخر القرن الثالث من أهل المائة الثالثة ، فقال بذلك من قال بدون دليل الا مجرد القياس على أموال التجارة ، وقد عرفت الكلام فى الأصل ــ يعنى زكاة التجارة ــ فكيف يقوم الظل والعود أعوج ؟

مع أن هذا القياس فى نفسه مختل بوجوده ، منها : وجود الفارق بين الأصل والفرع ، فان الانتفاع بالمنفعة ليس كالانتفاع بالعين(٤) .

ب ــ وخلاصة هذه الشبهة : أن الأصل براءة الناس من التكاليف ، ولم يوجد دليل يوجب الزكاة فى هذه المستغلات ، حتى أن أحدا من السلف لم ينقل عنه القول بزكاتها ، فضلا عن نص من آية أو حديث .

أما القياس على أموال التجارة وزكاتها ، فعلى فرض التسليم بثبوت الزكاة فيها ، فقد اختل القياس بوجود الفارق وهو : أن أموال التجارة وسلعها ينتفع بعينها ، فتنتقل العين من يد الى يد بالبيع والشراء ، بخلاف هذه الأشياء ، فانها باقية ، وانما يستفاد من منفعتها فحسب .

تعقيب وترجيح ..

أما حديث « ليس على المسلم فى عبده أو فرسه صدقة » فالذى اخترناه أن نفى الصدقة فيهما انما كان لأنهما من حوائجه الأصلية ، فالعبد يخدمه ، والفرس مركبه وعدته للجهاد ، ومن ثم أوجب جمهور الفقهاء منذ الصدر الأول اخراج الزكاة عن العبد والفرس اذا كانا للتجارة ، بل نقل ابن المنذر الاجماع على ذلك ، ولم يقف ظاهر هذا الحديث دون ما فهموه وأفتوا به .

وأما عدم النقل عن الصدر الأول ما يفيد ايجاب الزكاة فى هذه الأشياء ، فانما كان لعدم شيوع الكراء والاستغلال فيها بحيث تعم به البلوى ــ على حد تعبير الفقهاء ــ ويظهر الحكم ، ويتناقله الرواة ، وكل عصر له مشكلاته التى تثار ، ويطلب ابرام حكم فى شأنها ، ولم تكن هذه (المستغلات) من مشكلات تلك الأعصار . قال فى (البحر) : وقد ادعى مخالفة الهادوية للاجماع ، وفيه نظر ، اذ لم يصرح السلف فيها بحكم(٥) .

أما قياس هذه (المستغلات) على عروض التجارة ، فربما كان له وجه عند النظرة الأولى ، اذ كل من المستغلات والعروض رأس مال نام مغل ، وكلا المالكين تاجر يستثمر رأس ماله ويستغله ويربح منه ، وكون صاحب العروض ينتفع باخراج عين الشىء عن ملكه ، وصاحب العمارة والمصنع ينتفع بالغلة مع بقاء العين ، ليس فرقا يوجب الزكاة على أحدهما ويعفى الآخر .

بل قد يقال : ان المنتفع باستغلال الشىء مع بقاء عينه فى ملكه ــ كمالك العمارة وصاحب المصنع ــ ربما كان أكثر ضمانا للربح ، وأمانا من الخسارة ، من صاحبه التاجر الآخر .

هذا ما قد يبدو لأول وهلة ، ولكن عند التأمل يتبين لنا المفارقات الآتية :

أولا : أن أصدق تعريف لعروض التجـــارة هو : كل ما يعـد للبيع من الأشياء ، كما جاء فى حديث سمرة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يأمرهم أن يخرجوا الزكاة مما يعدونه للبيع . وقد تقدم فى زكاة التجارة .

ومما لا يخفى أن هذه العمارات والمصانع وما شـاكلها لا يعدها مالكها للبيع ، بل للاستغلال ، وانما ينطبق هذا على التجار والمقاولين الذين يشترون العمارات او يبنونها بقصد بيعها ، والربح من ورائها . فهـذه تعامل معاملة عروض التجارة بلا نزاع .

ثانيا : أننا لو جعلنا كل مالك يستغل رأس ماله . ويبتغى نماءه تاجرا . ولو كان رأس المال غير متداول وغير معد للبيع — لكان مالك الأرض والشجر التى تخرج له زرعا وثمرا تاجرا أيضا ، ويجب أن يقوم كل عام أرضـه أو حديقته ، ويخرج عنها ربع عشرها زكاة ، وهذا ما لا يقبل . ولا يقول به أحد .

ثالثا : أن هذه المستغلات قد يتوقف فى بعض الأحيان استغلالها لسبب من الأسباب ، فلا يجد صاحب العمارة من يستأجرها . ولا يجد صاحب المصنع المواد الأولية اللازمة ، أو الأيدى العاملة ، أو السوق الرائجة .. الخ . فمن أين يخرج زكاتها ؟

ان صاحب العروض التجارية السائلة (المتداولة) يبيعها . ويخرج زكاتها من قيمتها ، بل يمكن عند الحاجة أن يدفع الزكاة من عينها — كما رجحنا ذلك — ولكن صاحب الدار أو المصنع كيف تؤخذ منه الزكاة اذا لم يكن له مال آخر ؟ لا سبيل الى ذلك الا ببيع العقار أو جزء منه ليستطيع أداء الزكاة . وفى هـذا عسر ظاهر ، والله يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر .

ومن هنا تظهر قيمة الفرق بين ما ينتفع بعينه كالعروض ، وما ينتفع بغلته كالعقارات ونحوها .

رابعا : يعكر على هذا الرأى من الناحية العملية : ان العمارة أو المصنع ونحوه ستحتاج كل عام الى تثمين وتقدير ، لمعرفة كم تساوى قيمتها فى وقت حولان الحول ، اذ المعهود أن مرور السـنين ينقص من صلاحيتها ، وبالتالى من قيمتها ، كما أن تقلب الأسعار تبعا لشتى العوامل الداخلية والخارجية له أثره فى هذا التقويم ، ولا شك أن هـذا التقويم الحولى تلابسه صـعوبات تطبيقية ، ويحتاج أول ما يحتاج الى مختصين ذوى كفاية وأمانة قد لا يتوافرون ، كما أن كل هذا يقتضى جهودا ونفقات تنتقص اخيرا من حصيلة الزكاة .

لهذا نرى أن الأولى أن تكون زكاة العمارة والمصنع ونحوهما فى غلتهما ، وهذا ما اتجه اليه الرأيان الآخران .

---

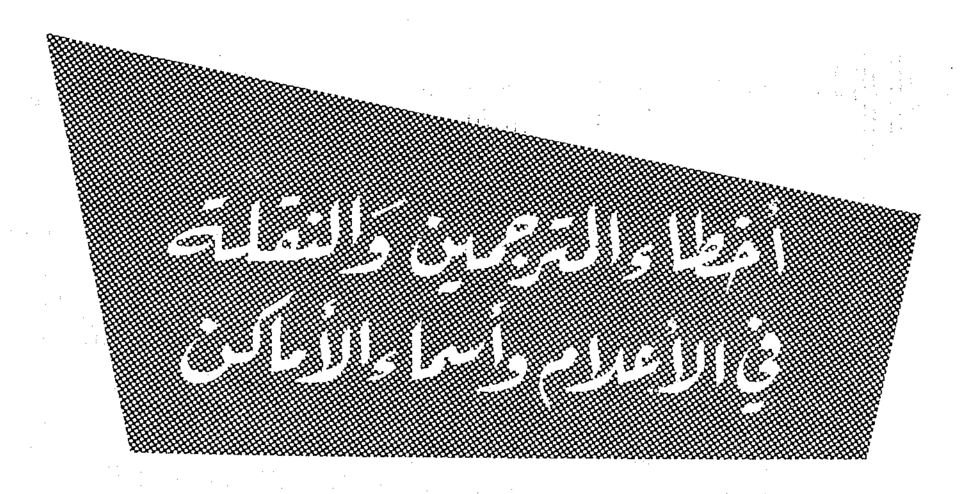
(١) بدائع الفوائد ج ٣ ص ١٤٣ .

(٢) بداية المجتهد ج ١ ص ٢٢٧ ط استانبول سنة ١٣٣٣ هـ .

(٣) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٧ .

(٤) الروضة الندية ج ١ ص ١٩٤ .

(٥) البحر الزخار ج ٢ ص ١٤٨ .



للاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

جاء فى ((خواطر)) العــدد التاسع والثــلاثين من مجلة ((الوعى الاسلامى)) للأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر ، خــاطرة حول ما وقع فيه مترجمو (دائرة المعارف الاسلامية) من خطأ فى كتابة لفظ (عمواس) هكذا (امواس) ، لأنهم حين نقلوا اللفظة عن الاصل الانجليزى للموسوعة ترجموا حرف الــ (A) الذى تبدأ به هذه الكلمة فى اللغة الانجليزية الى الف مهموزة ، ظنا منهم أن هذا هو الأصل ، ونسوا أن أصل اللفظة هو حرف (العين) العربيــة التى تحولت فى الانجليزية الى حرف (A) ، فكان الواجب ردها الى اصلها العربى الذى عرفها به العرب ونطقوهــا به منذ أن خلق الله بلد (عمواس) واوجدها فى المعجم العربى ، وفى الأطلس العربى ، وفى كتب الحديث والتاريخ والادب العربى ..

وفضيلة الأستاذ عبد المنعم النمر ، والمؤرخ المحقق اللواء محمود شيت خطاب مشكوران أصدق الشكر على هذا التصــحيح الذى يرد الى لفظة عربية لبلدة عربية اعتبارها ، ويعيد اليها كيانها العربى ، وحلتها العربية الصحيحة ، التى لم يؤثر فيها اعوجاج الألسنة ، والجهل بتاريخ العرب والاســلام ، على الرغم ممــا يجنح اليه المترجمون فى أحيــان كثيرة من ركوب متن الشطط فى ترجمة الأعلام ، وأسماء الأماكن ، والبعــد بها عن قوامها العربى ، وبنائهــا السليم .

وليس هذا الخطأ اول خطأ تقع عليه العين فيما ينقله النقلة من تاريخنا وتراثنا . ولو ان هؤلاء النقلة كانوا عجما لالتمسنا لهم العذر فيما يقعون فيه . ولكن المسألة أكبر من أن يشفع فيها عذر ، أو يغنى فيها التماس المعــاذير .

فما عذر العربى المسلم حين ينقطع عهده ، أو تنبت آصرته بماضيه ولغته وتاريخه فينسى من الأعلام والأماكن ما لا يجوز أن يتطرق اليها نسيان ، أو يعدو عليها طغيان ؟ وما عذر العربى المسلم حين ينسى قطعة من أرضه ، أو فلذة من تاريخه ، أو بلدا من بلدان أرضه العربية الواسعة فينطقها على غير حقيقتها ، ويديرها على غير وجهها الذى خلقها الله به ، وأنبتها عليه ؟

وما زلت أذكر من نماذج هذه الأخطاء الشنيعة ما لا يجوز ذكره الا على سبيل التنبيه اليه ، والتدليل عليه ، والتذكير به ، حتى تتجنبه الألسنة ، وتتحاشاه الأقلام ، ويعود اليه بناؤه العربى الصحيح الذى لم تشوهه عجمة ، ولم تحرفه غفلة .

ومن أشنع وأبشع ما لقيته من تلك الأخطاء ما جاء فى معجم (المنجد) — أو على الأصح فى المعلمة الملحقة به — وهو قسم قام بعبء تحقيقه والقيام عليه الأب فردينان توتل اليسوعى ، وهو رجل عربى من حلب ، فلا عذر له حين يكتب اسم زوجة النبى عليه السلام : زينب بنت جحش — رضى الله عنها — هكذا : (زينب بنت جهش) بالهاء لا بالحاء . لأنه يترجم عن الفرنسية أخت الانجليزية بلا معرفة بأصول تاريخنا العربى ، فنقل حرف الـ (H) هاء ، كما يفعله النقلة الذين لا يفقهون بدون تثبت أو تكليف الخاطر بالرجوع الى كتاب من كتب السيرة ، وبهذا نقل اسم أم المؤمنين رضى الله عنها الى غير حقيقته ، ومسخه مسخا بعد به عن أصله الصحيح .

ويرسم الأب فردينان توتل الباحث العربى اسم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده هكذا : محمد عبدو . وهو رسم غريب لا معنى له . وفيه أثر النقل والترجمة الحرفية . مع أن اضافة لفظ (عبد) الى الهاء فيها تحقيق معنى العبودية لله .

وشبيه بما وقع فى لفظ (عمواس) فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ما وقع فى المعلمة الملحقة بمعجم (المنجد) فى كلمة (أوالى) التى هى اسم مكان فى بلاد البحرين ، فقد كتبت هكذا : (عوالى) . وهو نقل أعجمى أيضا . لأنها تكتب بالحروف اللاتينية هكذا : Awaly . فتوهم الأب توتل العربى أن الـ (A) أصلها عين لا همزة ، ولو أنه كلف نفسه الرجوع الى معجم بلدان أو مصور جغرافى عربى لما وقع فى مثل هذا الوهم الشنيع .

وأعجب من هذا الخلط والخبط فى ترجمة الأعلام والأماكن ما جاء فى معجم المنجد أيضا من الحديث عن عبد المؤمن بن خلف الدمياطى صاحب كتاب (فضل الخيل) وغيره من نفيس المؤلفات ، فقد جاء فى ص ٦٦ من المعلمة أن اسمه هكذا : (عبد المؤمن بن خلف الضمياطى) !! وهى ترجمة حرفية لا واعية لحرف (D) الافرنجى ، أو لعل الأب الجليل يريد أن يحقق تسمية لغة الضاد — أى لغتنا العربية — بمثل هذه الضاد فى مدينة دمياط .. لا ضمياط !!

ومن غرائب الخطأ فى ترجمة الأعلام ما وقع فى المنجد أيضـــا للتعريف بالفقيه العـــالم المصرى نور الدين الأجهورى . فقد جـــاء فيه أنه (نور الدين الأغورى . ولد فى أغور شمالى القـــاهرة) . وليس هنـــاك بلدة فى شمال القاهرة اسمها : أغور وليس هنـــاك فقيه مالكي مصرى اسمه : الأغورى . ولعل هذا من فساد النقل والترجمة عن الفرنسية والحروف اللاتينية . وانمـــا الصحيح أن هناك نور الدين الأجهورى ، وهو منسوب الى بلدة : أجهور ، من أعمال محافظة القليوبية . وهى ترسم بالحروف الافرنجية هكذا :
(aghour) فقرأها الأب توتل بالغين لا بالجيم ، على عادة ابدال الـــ (GH) غينا فى اللغات الأجنبية .

ويذكرنا قلب الدال ضادا فى مدينة (دمياط) على يد الأب العربى فردينان توتل الحلبى بما صنعه الأستاذ توما ديبا المعلوف من قلب اسم الشيخ محمـــد عياد الطنطاوى الرائد الأزهرى المشهور فى بلاد الروس الى محمد عياض .. بالضاد لا بالدال . واظن أن الأستاذ تومـــا قد ترجم اسم الشيخ المصرى عن حروف لاتينية ترسم هكذا « ayyad » فجعل (حرف D) ضـــادا بدلا من جعله دالا على حقيقته .

وأذكر هنا للمرة الثالثة دالا عربيـــة قلبت الى ضاد حين ترجمـــة اسم (ريدان) قائد جيوش الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . ففى كتاب (الفنـــون الشعبية فى يوغوسلافيا) الذى صدر عن دار المعارف فى سلسلة (مكتبـــة الثقافة الشعبية) ذكر المؤلف اسم هذا القائد هكذا : « ريضان » !! لا ريدان . وهو هنا ينقل ويترجم عن اللغة الأجنبية بلا وعى ، وبدون رجوع الى التـــاريخ العربى . واغرب من هذا أن مؤلف هذا الكتاب حين يتحدث عن الخليفة الحاكم بأمر الله ، فانه يذكره هكذا : الحكيم . فكأنه يترجم حرفيا وبلا وعى اللفظـــة مكتوبة بالحروف الافرنجية هكذا : « Hakim » !!

ومن أعجب ما وقعت عليه العـــــين من أوهام المترجمين للأعلام والأماكن العربية ما وقع فى اسم الخليفة الأموى مروان والد الخليفة عبد الملك بن مروان. فقد كتبه مؤلف كتاب « الفنون الشعبية فى يوغوسلافيـــا » هكذا : مرفان !! لأن مروان يكتب باللاتينية هكذا : Mirwan . فترجم حرف « w » الى حرف « ف » بالعربية ! وهـــكذا من أشنع الأوهام التى تدل على انقطاع تام عن تاريخ العرب والاسلام .

ومن أغرب الأوهام والتخليط فى ترجمة الاعلام والاماكن العربية الاسلامية . ما وقع فى ترجمة كتاب (تاريخ أفريقية) لرولاند أوليفر وجون فيج . فقد تولت الدكتورة عقيلة محمد رمضان ترجمته ، وظهر سنة ١٩٦٥ . ولكنه كان مشحونا بأخطـــاء الترجمة التى تدل على بعد المترجمة والمراجع عن تاريـــخ قومها .. فكتبت مدينة (فاس) المراكشية هكذا : « فيز » !! على الطـــريقة الامريكية أو الانجليزية ! ويظهر أن ياقوت الحموى ــ رحمه الله ــ قد كان محتاطا لمثل هذا الوهم أن يتسرب الى هذه اللفظة فضبطها فى كتابه المشهور (معجم البلدان) هكذا : (فاس : بالسين المهملة ، بلفظ فاس النجار ..) .

وفى كتاب تاريخ أفريقيـــة هذا ذكرت مدينة قرطـــاجنة الافريقية هكذا : (كارتيج) !! وهى ترجمة حرفية عن اللفظ الانجليزى . والصواب مـــا تذكره جميع المعاجم وكتب التاريخ العربى الاسلامى من أنها : قرطاجنة .

ومن أوهام الترجمة فى ذلك الكتاب ما جاء عن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين . فقد كتب اسمه هكذا : (ابن طشفين) !! وهى أيضا ترجمة حرفية عن الانجليزية . فقد ترجم حرف (T) المكتوب به الاسم باللغة الانجليزية الى حرف « ط » ، فصار طشفين . .

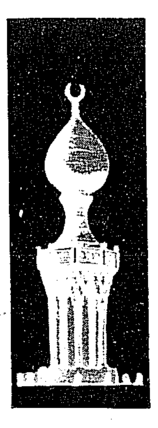
وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : الحافصيين ! ولا أدرى من أين جاءت بهذه الألف ، الا أن تكون حرف (A) فى الانجليزية الذى وقع بعد حرف « H » ، وهو المقابل للحاء العربية . .

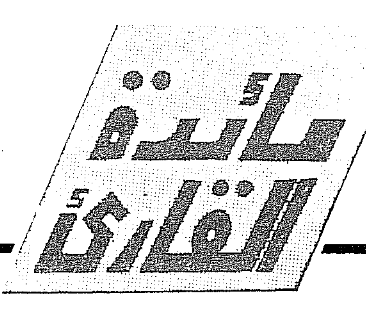
وكثيرا ما تأتى الأعلام والأماكن العربيـــة فى الكتب المترجمة على غير حقيقتها ، فان قبيلة « صنهاجة » المغربية قد وقعت فى الترجمة العربية لكتاب تاريخ أفريقية هكذا : (سنهاجا) !! فترجم حرف « S » الى حرف سين ، بدلا من الرجوع به الى أصله العربى .

وقد ترجمت الدكتورة عقيلة رمضان اسم الحفصيين أو بنى حفص هكذا : والمصورات العربيـــة التى تنقل عن الفرنجة ، فوجدت أن الوهم يتسرب الى الترجمـــة والنقل فى حروف معينـــة مثل (A) . وهـــل هى الف أو عين . وحرف « D » وهل هو دال أو ضاد . وحرف « H » وهل هو حـــاء أو هاء ، وحرفى gH وهل هما ج . أو غ . وحـــرفى KH وهـــل هما كاف أو خـــاء ، وحرف S » وهل هو س أو ص . وحرف T وهل هو تاء أو طاء .

وما زلت أذكر ما وقع فى أطلس عربى حديث حيث ذكرت فيه بلدة « كوت العمارة » بالعراق هكذا : كوت الأمارة . وما وقع فى أطلس آخر حيث ذكر فيه المخلاف اليمنى المشهور : بيحان . هكذا : بيهان لأن مترجم الأطلس وناقله نقل عن أصل انجليزى أو فرنسى تكتب فيه اللفظة هكذا : Bihan . فتحير الناقل فى حرف الـــ « H » ماذا يترجمه : أيترجمه حاء كما هو الأصل ، أم يترجمه هاء كما وقع فى المحظور !

ولا شك أن ازالة مثل هذه الأوهام فى ترجمة الأماكن والاعلام تحتـــاج الى تفطن ودراية ومعرفة بالتاريخ العربى الاســـلامى وطبقات الرجال وبلدانية الأوطان العربية التى تشرف العربى وتزيده اعتزازا بقومه ، واعتدادا بوطنه ، واستمساكا بعرى تاريخه العظيم .





سيف الله المسلول

فى غزوة الخندق جمع المشركون جيشا عظيما حاصروا به المدينة . فلما طال الحصار عليهم خرج عمرو بن ود فارس العرب . فتوجه الى المسلمين . وقال : من يبارز ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

فقام على . فقال : انا يا نبى الله . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس انه عمرو بن ود . فنادى عمرو الثانية وسلط لسانه فى المسلمين . وقال : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين .

وقام على . فقال : أنا له يا رسول الله . فقال له النبى : اجلس انه عمرو بن ود ، فنادى عمرو الثالثة فلم يجبه أحد من المسلمين . فقام على فقال : انا يا رسول الله فقال له النبى : انه عمرو فقال على : وان كان عمرا فأذن له فى الخروج اليه . فلما رآه عمرو قال : من أنت ؟ قال : على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ؟ قال : نعم . فقال عمرو : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك وانى أكره أن أريق دمك . فقال على : وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب . وكان راكبا على فرسه . وعلى واقف على قدميه . فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك !! فنزل عمرو . وسل سيفه كأنه شعلة وعقر فرسه . وهجم على على . فاستقبله بدرقته . فضربه عمرو فيها . فقدها وأصاب رأس على ، فضربه على على عاتقه . فسقط عمرو قتيلا . فكبر المسلمون فرحا بقتل عدو الله .

. . . .

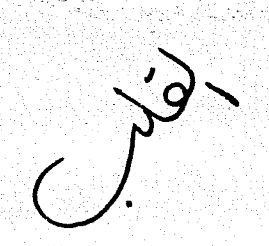
الملعونة

كان العباس بن على المنصور ينظر الى الخمر . ثم يقول لها : اما المال فتبلعين وأما المروءة فتخلعين ، وأما الدين فتفسدين .

الخبز والملح

دعا رجل صديقا له الى منزله ، وقال : لنأكل معك خبزا وملحا . فظن الصديق ان ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده صاحب المنزل . فمضى معه . فلم يزد على الخبز والملح ، فبينما هما يأكلان اذ وقف بالباب سائل الح فى المسألة فقال له صاحب المنزل اذهب والا كسرت رأسك . فقال الضيف للسائل : انصرف فانه صدق فى وعده . وسيصدق فى وعيده .

قال حكيم : أعجب ما فى الانسان قلبه .
ان سنح له الرجاء أذله الطمع .
وان هاجه الطمع أهلكه الحرص .
وان ملكه اليأس قتله الأسف .
وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ .
وان أسعد بالرضا نسى التحفظ .
وان أتاه الخوف شغله الحذر .
وان اتسع له الأمن استلبته الغرة
وان أصابته مصيبة فضحه الجزع .
وان استفاد مالا أطغاه الغنى
وان عضته فاقة بلغ به البــلاء .
وان جهد به الجوع قعد به الضعف .
وان أفرط فى الشبع كظته البطنة .
فكل تقصير مضر ، وكل افراط قاتل .



اكــــرم من حاتــــم

دخل رجل من الأنصار على عبيد الله بن عباس ، فقال : يا بن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وانى سميته باسمك تبركا منى به ، وان أمه ماتت .

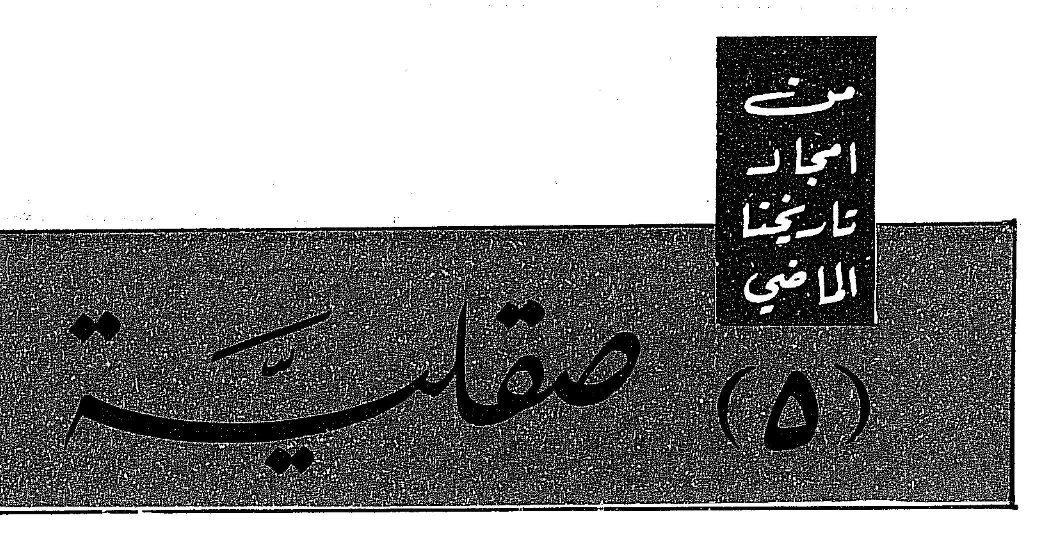
فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه ، وادفــع اليه مائتى دينار للنفقة على تربيته .

ثم قال الأنصارى : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس ، وفى المال قلة .

قال الأنصارى : لوسبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطل كرمك اكثر من وابلــه .

المنزل الوســـط

دخل على زياد رجل من اشراف البصرة . فقال له زياد : اين مسكنك من البصرة ؟ قال : فى وسطها قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فلما خرج من عنده قيل له : انه ليس كذلك فى كل ما سألته ، وليس له من الولد الا واحد . وهو ساكن فى طرف البصرة ، فلما عاد اليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له ما كذبتك : لى تسعة أولاد ، قدمت منهم ثمانية فهم لى . وبقى معى واحد ، فــلا ادرى الى يكون أم على ؟ ومنزلى بين المدينة والجبانة فأنا بين الأحياء والأموات فمنزلى فى وسط البصرة . قال زياد : صدقت .



الدول كالأفراد تحيا وتموت . ولكن المدنية الحقيقية لا تخشى الموت . وليس قياس المدنية الحقيقى بكثرة الإحصاء . أو بحجم المدن . أو قيمة الحاصلات والتجارة فحسب . بل بنوع الرجال الذين تخرجهم إلى العالم . والعلوم التى يشيد عليها صرح المدنية .

وقد استولى المسلمون على صقلية فى زمن كانت تتلألأ فيه مدنيتهم فى الشرق والغرب . وأوربة قد عادت وسقطت فى ظلمات الجهل . ولجأ العلم إلى ظل الأديرة الهادىء ، حيث كان الرهبان قد انزووا فى مقصوراتهم . واخذوا يمسحون رقاقهم القديمة ليكتبوا عليها أصول ديانتهم (١) ، ودخل المسلمون صقلية يحملون معهم دينا جديدا ، ونقلوا إليها كل علومهم ، وصنائعهم ، وقوانينهم . وعوائدهم . ولغتهم . وآدابهم ، وفنونهم ، وظل يتدفق الى الجزيرة طوال الحكم الإسلامى لها — وهى غاصة بذكريات المدنيات القديمة — تيارات الثقافة الشرقية التى كانت ممتزجة بتراث اليونان والرومان الفنى . واستطاع المسلمون بقوة نفوذهم . وتأثير سلطانهم الدينى والسياسى ، وذكائهم وعبقريتهم أن ينتجوا أحسن ثمارها ، فازدهرت على عهدهم العلوم والآداب والفنون ، وتخرج رجال فى كل فرع من هذه الفروع ، وما فيهم إلا العالم ، والأديب والحكيم ، والمنجم والطبيب . والمهندس ، وكانت لهم يد على الجزيرة فى إنهاضها فى مادياتها ومعنوياتها . بتصانيفهم وتحقيقاتهم وصناعاتهم وشاركوا المسلمين فى الأندلس وغيرها فى وضع أساس التمدن العلمى الحديث فى أوربة .

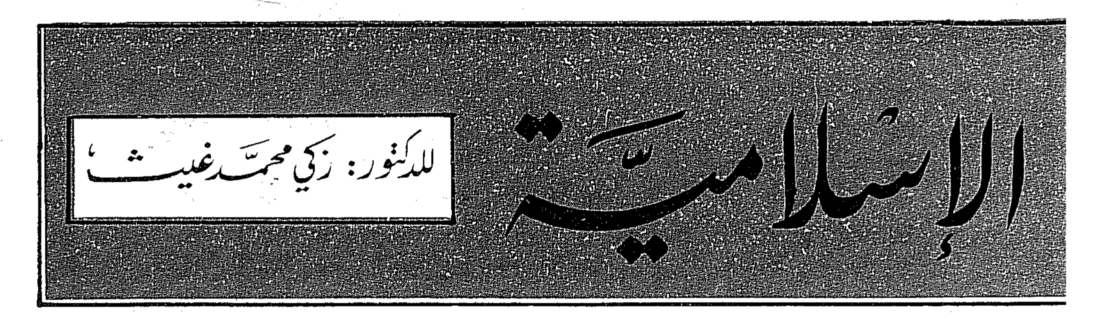
العلوم الدينية والعربية

فنجد أن « العلوم الدينية » قد حظيت فى صقلية بنصيب وافر من العناية والخدمة ، فقد عنى الصقليون بكتاب الله حفظا ، وتجويدا ، وتفسيرا ، وكانت لهم فى الحديث آثار جليلة ، وألف كثير منهم فى القراءات ، كما نال الفقه والأصول قسطا وافرا من العناية . وتآليفهم فى الفقه كثيرة ومفيدة ، فلا عجب إذا نبغ فى صقلية من الفقهاء ، والمفسرين ، والقراء ، والمحدثين ، والمتكلمين عدد وافر ممن كانت لهم آثار خالدة وتآليف قيمة .

وكذلك « العلوم العربية » فقد كانت مشاركة أهل صقلية فيها عظيمة .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ لمحمد كرد على (نقلا عن غوستاف لوبون — حضارة العرب) ، والمدنية العربية فى الغرب ، ص ٢ للويجى رينالدى .



وحظهم منها كبيرا . فكان نصيب اللغة جزيلا وافرا ، وما كان يرجى من أهل هذا البلد النائى أكثر من أن تكون العربية لغة كتابة وتدوين على قدر المكنة ولكن أبت هذه الهمم الوثابة . والنفوس الطامحة إلا أن تعمل حيث كانت . وفى أية بقعة من بقاع الأرض . فرحل الراحلون فى طلب اللغة ومفرداتها وغريبها . وظهر الحفاظ اللغويون الكبار بصقلية . وكان منهم النحاة المصنفون . وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم . وتركت أثرها القوى فى الجزيرة ، وتكلم السواد الأعظم بها . ورسخت جذورها وبقيت حية حتى بعد زوال سلطان المسلمين السياسى عن صقلية .

والعلــوم

وكذلك « العلوم » فإن عنايتهم بها تضارع عنايتهم بالعلوم الدينية والعربية . لأنهم وجدوا إبان ازدهار الحضارة الاسلامية ، وفى وقت كان الاسلام اعظم قوة فى العصور الوسطى . فكان ذلك دافعا لهم على السير مع القافلة ، والاشتغال بالعلوم المختلفة . فساهموا فى دراسة العلوم الرياضيــة والفلكيــة والعلوم الطبيعية . والكيمياء . والطب . والصيدلة . والجغرافيا . والتاريخ . ووجد منهم علماء فى هذه الفروع كانت لهم أبحاث ومؤلفات لا يزال بعضها باقيا إلى اليــوم .

الفنــون

وأيضا « الفنون » فقد تحلل أهل صقلية من القيود التى كانت تحول دون اشتغال المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام بالفنون التجسيديــة (كالنحت والتصوير) فرأيناهم يتمشون مع روح العصر الفاطمى . ويعيرونها اهتمامهم . فاتقنوا فن النقش والحفر والنحت . بجانب تفوقهم فى الموسيقى والغناء . وكان المسلمون فى صقلية قد أدخلوا معهم فى الجزيرة الأصول الرئيسية لفنهم . من عقود البناء العالية الجميلة ، والمقرنصات ، وقيشانيهم ذى الميناء ، وفسيفسائهم المتخذة من الرخام الملون ، ورسومهم الجميلة ، وبهيج صناعاتهم الصادرة عن علمهم . وهى من الأعمال الخاصة بالمترفين ، وارباب النعيم ، وكانت مصانع نسيجهم مثالا يحتذى فى اقامة مصانع العهد النورمانى ، وكان فيهم مهندسون برغوا فى فن النقش والزخرفة ، وهندسة البناء ، وقد احتذيت آثار العصر

الإسلامى كانموذج فى العهد النورمانى . فمهندسو المسلمين الذين كانوا فى خدمة الأمراء المسلمين احتفظ بهم النورمان . فقدموا إليهم ما ورثوه عن اسلافهم . وكانت أعمالهم ذات أثر خالد (١) .

وكذلك كان الشأن بالنسبة « للفنون الفرعية » وهى ما تعرف أيضا بالفنون الصناعية . أو التطبيقية . أو الزخرفية . أو الصغرى . والمقصود بها على كل حال هو : الفن فى الأشياء المنقولة التى ينتفع بها ، أو تتخذ للزينة والزخرف كالنقش . والزخرفة . والنحت على الأحجار . والحفر على الأخشاب وغيرها من المواد (٢) . فقد برع مسلمو صقلية فى الرسوم المكونة من الأشكال النباتية . وعملوا أشكالا تمثل الطيور والحيوانات ، وكونوا أشكالا هندسية مركبة من خطوط مستقيمة متقاطعة ، وخطوط منحنية ، وألفوا الألوان الزاهية وكتبوا بها آيات قرآنية بخط الثلث والكوفى ، وطلوا بها الآنية المختلفة ونقشوا بها على الجلود . غير أنه لم يكن للنقش والحفر عندهم أهمية عظيمة إلا ما كان خاصا منها بالزخرفة . فكان فى غاية الإبداع والإتقان ، أما الصور فقد أهملت بسبب الدين ، فإنه حرمها خشية العودة إلى الوثنية الأولى (٣) .

أما « صناعة النسيج » فقد بلغت شأوا عظيما على أيامهم . فكانت دار النسيج المشهورة التى أسسها المسلمون فى (بلرم) تمد ملوك أوربة بما يحتاجون إليه من الثياب الملكية التى كان يطرز عليها النقوش العربية . والتى كانت تخلب الألباب ببهجتها وتطريزها البديع برسوم الأزهار والصور(٤) . حتى انهم أدهشوا الغربيين (بسندسهم) الفخم الذى كان موضع إعجابهم مما ولد الرغبة عندهم فى تقليده . فأنشأوا لذلك المصانع الكبيرة فى بلادهم ، وكان أكبرها وأفخمها فى ايطاليا(٥) .

وفوق ذلك فإن المسلمين فى صقلية هم أول من عرف الغربيين (بالتطريز . والترصيع) وهذا يدلنا على فن آخر أدخله المسلمون معهم إلى صقلية ، وانتقل منها إلى ايطاليا . ولا تزال توجد أنسجة مرصعة بنقوش وكتابات عربية بديعة مثل التى فى القبعة (البلاتينية) الموجودة فى بلرم(٦) ، كما يوجد فى متاحف أوربة وكنائس صقلية أوان معدنية ، وصناديق خشبية عليها زخارف ونقوش صقلية إسلامية ، كما توجد جلود كتب مزينة بالزخارف والألوان الزاهية ترجع الى ذلك العصر(٧) .

---

(١) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٩ ، وشارل دييل (بالرمو وسيراكيوز) ص ٥٦ .

(٢) تراث الاسلام ج ٢ ص ٣ (هامش للمرحوم الدكتور زكى محمد حسن) .

(٣) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٩ ، والمرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية كلمة بصدد هذه الصور بمناسبة زيارته لصقلية سنة ١٩٠٣م ، أثبتها رشيد رضا فى (تاريخ الشيخ محمد عبده) الذى جمعه عنه .

(٤) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

(٥) لويجى رينالدى (المدنية العربية فى الغرب) ص ١٨ ، ١٩ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

وقد كان اعتراض الدين على الصور الآدميــة حائلا دون أى تقدم فى (صناعة التماثيل الآدمية) . ولكنهم برعوا جدا فى النحت على الأحجار . والحفر على الخشب وغير ذلك من المواد . وكانت لهم قدرة فنية عظيمة وتفوق فنى بالغ فى اختيار الألوان وصناعتها .

وبعد فإنا نستطيع أن نقرر : أن صقلية كانت ذات ثقافة زاهرة على عهد المسلمين . واستطاعت أن تحتل مكانة رفيعة فى العالم الإسلامى القوى بسلطانه السياسى والعلمى فى العصور الوسطى . وأن تخرج فى مدرستها الخاصة عددا كبيرا من العلماء الأعلام الذين كان لهم اشتغال بمختلف العلوم والفنون . وكانت لهم آثار خالدة وأياد جليلة على الجزيرة فى تكوين حضـــارتها العلمية والماديـــة .

يقول غوستاف لوبون (١) : « وقد دلت الآثار على أن العرب لما خرجوا من هذه الجزيرة كانت اكثر رقيا من اليوم الذى دخلوها فيه ، فمعظم تأثيرهم النافع فى صقلية . والتحسين الذى يدخله شعب على شعب هو معيار نفوذ الحضارة التى يحملها الأول الى الثانى . فالأثر النافع للعرب فى صقلية جدير بالتقديــر والاعتبار » .

تأثيرها على أوربا

أما « مكانة صقلية فى نقل الثقافة العربية » فلا شك أن صقلية كانت نقطة الالتقاء بين تارتين ذاتى ثقافتين . وبمعنى أوضح كانت نقطة الالتقاء بين الشرق والغرب . وهى بحكم هذا المركز الخاص كانت وسيلة لنقل علم العصور القديمة والعصور الوسطى . لأنها كانت مجتمعا لعدة عناصر مختلفة من البشر . ففيها الإغريق الذين يتكلمون اليونانية . والمسلمون الذين يتكلمون العربية . وفريق من العلماء الذين يعرفون اللاتينية ، وكانت هذه اللغات الثلاث شائعة الاستعمال فى السجلات الرسمية ، والأوامر الملكية . كما كانت لغة الكتابة والتخاطب بين اهل الجزيرة . ولغة العلم اذ ذاك أيضا(٢) .

وقد ترجم هؤلاء العلماء الكتب العربيـــة إلى اللغـــة اللاتينية ككتاب (البصريات) المنسوب إلى بطليموس من العربية بعد أن ضاع أصله اليونانى . وككتاب (كليلة ودمنة) العربى إلى اللغة الإغريقية . وقد كان ليهود صقلية كما كان ليهود الأندلس وقتئذ أثر واضح فى أعمال الترجمة هذه ، فقد ترجم الطبيب الصقلى اليهودى (فرح بن سالم) من العربية إلى اللاتينية الموسوعة الطبية التى وضعها (الرازى) ؛ وكان هذا الكتاب هو الكتاب الطبى الوحيد الهام الذى نقل إلى اللغة اللاتينية فى صقلية . اما بقية الترجمات فكانت للكتب التى تعالج علم الفلك والرياضيات فى الغالب . وكان لهذه الترجمات الفضل فى تعريف

(١) حضارة العرب ، ف ٧ ص ٣١٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦١٠ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .

الغربيين بكثير من الفلاسفة والأطباء والعلماء فى مختلف العلوم والفنون مما كان له أكبر الأثر فى بعث النهضة العلمية الأوروبية الحديثة(١) .

ولم يكن تأثير صقلية قاصرا على (العلوم والآداب) بل كان لها فضل كبير فى تعريف الغربيين (بأساليب الفنون الإسلامية المختلفة) كهندسة المبانى . والنقش والزخرفة والنحت ، وعن صقلية عرفوا أحسن طرق الزراعة والصناعة والتجارة ، فإذا كنا نعجب اليوم من مخترعات أوربة وتقدمها فى العلوم والفنون والآداب والصناعات ، وتفوقها فى الزراعة والتجارة ، فإن الأوربيين بدورهم فى خلال العصور الوسطى كانوا يعجبون بمصنوعات العرب وبارع فنونهم . وكانت تأخذهم الدهشة عند رؤية مصنوعات المسلمين التى كانت تأتى إليهم من مصانعهم ومتاجرهم بصقلية والأندلس ، من الأنسجة الحريرية النفيسة ذات التطريز البديع ، والألوان الزاهية . والجودة المتناهية ، ومن التحف الثمينة ذات الصنعة البارعة ، والنقوش المتناسقة الجميلة ، ولقد حملت منسوجات صقلية أول صناع المنسوجات الإيطالية على اتخاذها نماذج لهم ، وصارت إيطاليا تصدر المنسوجات إلى مختلف جهات أوربة مقلدة فيها المنسوجات الصقلية . كما تأثرت إيطاليا وأواسط أوربة إلى حد كبير بالطرز الإسلامية فى فن العمارة . وقلد أهلها المسلمين فى معالجة الجلد وزخرفتـــه ، وتكفيت النحاس بالذهب والفضة ، أو النحاس الأحمر(٢) .

فصقلية تعتبر بحق إحدى المسالك التى سلكتها الثقافة العربية فى طريقها إلى أوربة ، شأنها فى ذلك شأن الأندلس ، وإن كانت الأندلس أكثر عطاء . وأكثر تأثيرا ، ذلك أن الأندلس قد أقام المسلمون فيها زهاء ثمانية قرون ، وكان من بين حكامها أعاظم بنى أمية ممن طالت أيامهم ، وكانوا قد وطنوا أنفسهم على اتخاذها وطنا أبديا لهم لا يلتفتون إلى ما وراءهم إلا بقدر ما يربط أمة بأمة بعيدة عنها ، ولكنها متفقة معها فى النزعة الدينية والعواطف ، على حين كانت صقلية مستعمرة للأغالبة ، ثم للفاطميين من بعدهم زهاء قرن ونصف قرن ، ولم تقم فيها حكومة لمصلحة الجزيرة بالذات الا زهاء قرن واحد تحت حكم الكلبيين .

وفوق هذا فان مساحة صقلية تتضاءل جدا بجانب مساحة الاندلس ، فهى لا تعدو أن تكون مقاطعة من مقاطعاتها الصغيرة ، وطبيعى والظروف هذه ان تكون نهضـــــــة العلم على فروعه ، والفن فى عامة ضروبه فى الأندلس أقوى وأضخم منها فى صقلية ، ومن ثم النقل منها الى أوربة .

على أن هذا لا يحط من شأن صقلية ولا ينفى أنها مع صغر مســـاحتها . وقصر فترة الاستقلال فيها تعتبر نسبيا كالاندلس ، فى نقل الثقافة الاسلامية

---

(١) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ ، وهلال فبراير سنة ١٩١١ م ، ص ٢٧١ .
(٢) فيليب حتى (تاريخ العرب) ف ٤٢ .

الى أوربة من ناحية الكيف لا الكم على الاقل . لأن ما أفادته أوربة من الثقـــافة الاسلامية بصفة عامة من كلا البلدين يضـــــع الاندلس فى المرتبة الاولى دون جدال ، ثم تقف من ورائها مباشرة صقلية .

* * *

وقد يكون من المناسب أن نختم حديثنا عن : « صقلية الاسلامية » باثبات شهادة أحد علماء الغرب ـــ الذين أنصفوا العرب ـــ فى شأن حضارة المسلمين اطـــــلاقا ، ومدى ما تدين به أوربة لهـــم ، ذلك هو المســـــتشرق الفرنسى : **غوســـــتاف لوبون حيث يقول : « .. كان تأثير العرب فى الغرب عظيما ، واليهم يرجع الفضـــل فى حضـــــارة أوربة .. وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية ، والأدبية ، والأخلاقية عظيما ، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذى أثره العـــرب فى الغرب الا اذا تصـــــور حالة أوربة فى الزمن الذى دخلت فيه الحضارة** ، واذا رجعنا الى القرنين التاسع والعاشر الميلادى يوم كانت المدنية الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة فى عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون .

وكانت الطبقة العالية المســـتنيرة فى النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة يقضون الوقت بالتكسب فى ديرهم بنسخ كتب القدماء ، وليبتاعوا ورق البردى اللازم لنسخ كتب العبادة .. ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلا بالحاجة الى نفض كفن الجهل الثقيل الذى كان الناس ينوءون تحته ، طرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه ، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم فى ذلك العهد »(١) .

* * *

بهذا نكون قد أوضحنا عدة جوانب من تاريخ « جزيرة صقلية » فى فترة من فترات تاريخها الزاهر خلال العصـــــور الوسطى ، فلعل ذلك يلفت النظر لناحية من نواحى التاريخ الاسلامى لم تفز بعناية كافية من قبل لتنال ما تستحقه من عناية الكتاب والباحثين مستقبلا ، والله ولى التوفيق .

---

(١) محمد كرد على بك (الاســـلام والحضــــارة العربية) ج ١ ص ١٩٦ ـــ ١٩٩ (نقلاً عن غوستاف لوبون ـــ حضارة العرب) .



قصة الايمان

بين الفلسفة والعلم والقرآن

تاليف : الشيخ نديم الجسر
عرض ونقد : عبد المعطى بيومى

مؤلف هذا الكتاب القيم هو فضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس فى لبنان ، وعضو مجمع البحوث الاسلامى بالأزهر والشـيخ نديم يعتبر من خيرة الكتاب الاسـلاميين الذين لا يجمدون على القـديم لقدمه ، ولا يندفعون وراء الحديث للمعانه وجدته ، ولكنه يحـكم عقله فى هذا وذاك ، ثم ينتقى لنفسه ولمحدثه وقرائه ما يراه القول الحق ، والتعبير المناسب ، فى منطق معقول ، وأسلوب سلس ، يستهوى الشباب ، ويعجب به العلماء والادباء .

وأهم ما يشغل الشيخ نديم فى مجالسه وكتاباته هم الشباب ، وتعرضهم للتيارات الوافدة ، وحرصه على حماية عقولهم وأفكارهم من الاصـابة بهذه التيارات ، حتى يظلوا فى حصانة تقيهم شرور الانزلاق ومآسيه .

والشيخ يؤدى رسالته باخلاص المؤمن ، ونزاهة العالم ، لا يثنيه عن عزمه اغراء عرض ، أو شهوة مادة ، طبع على نفقته من الكتاب الذى نحن بصـدده ألف نسخة ، وزعها بلا مقابل على الشخصيات والهيئات الاسـلامية ، ثم أذن لدار الأندلس فى بيروت ، فطبعت منه أربعة آلاف نسـخة اخرى دون أجر ، غير أجر يتمناه من الله ، ولقد نفدت نسخ الطبعتين جميعا ، ونعتقد أن عشرات الطبعات ستصدر فيما بعد من هذا الكتاب القيم .

وأنا أعلم جيداً أنه قد قدمه قبلى كثيرون ، ومع ذلك فان موضـوعه هو موضوع كل يوم ، وحديث كل مجلس ، ذلك لأنه فى هدفه يحارب نزعة خبيثة ، ويقرر حقيقة طيبة .

يحارب نزعة استهوت بعض المتفلسـفين والمتعالمين ، وهى ادعاء الهوة بين الدين والفلسفة والعلم ، فجاء هذا الكتاب يثبت اتفاق هذه الثلاثة : النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى المجرد ، والوحى الالهى المنزل ، على قضية الايمان .

والكتاب فى اثباته لهذه الحقيقة ، وحربه لتلك النزعة ، جهاد عال ومخلص فى سبيل الحق ، مؤيد بالأدلة والبراهين التى جمعت فى عقد متسلسل ، تسلم حباته بعضها الى بعض ، فى منهج يبرز ثقافة الشيخ ، وسعة اطلاعه وتمكنه .

ولقد اختار الشيخ لهذا البحث العميق ان يسلك به سبيل القصة الجذابة ،

حتى يستهوى القراء ، ويخفف عنهم جفاف البحوث العلمية ، والأدلة العقلية . وهو فى هذا ــ بلا شك ــ قد بلغ هدفه الذى يرمى اليه .

فالشيخ فى خيال ينتزعه مما حوله يفترض بادىء ذى بدء وجود شخص اسماه (حيران بن الأضعف) طلب العلم فى جامعة (بشاور) فى البنجاب ، فلم يقنع منها بالقشور التى كان يكتفى بها شيوخه ، بل تطلع الى آفاق أوسع للمعرفة ، ولكن اساتذته الجامدين لم يهيئوا له الفرصة المبتغاة للتعمق والدرس ، فاتسعت هوة الخلاف بينهم وبينه ، حتى امتلأت صدورهم عليه ، واصبح واضحا انه لم يعد له مكان فى هذه الجامعة ، ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان هينا عليه ، ولكن الذى زاد من حيرته وعذابه أن هؤلاء الشيوخ بجمودهم كانوا يفتحون بابا لغرور بعض العلماء السطحيين ، فتعمق الهوة عنده بين الدين والعلم والفلسفة . الى أن حدثه أبوه بشيخ له قديم ، يقيم الآن فى قرية (خرتنك) من أعمال سمرقند ، هو الشيخ أبو الموزون ، وهو وحده الذى يستطيع أن يشفى غلته ، ويروى ظمأه .

ولم يدر الوالد أنه حين حدث ولده بذلك ، أنه هيأ له الطريق ليرحل عن جامعته الى « خرتنك » . . ! وهناك عرف أن لقاءه مع الشيخ صعب لا ينال ، لأن الشيخ الموزون لا يرى أحدا ولا يراه أحد ، يختفى نهاره بين الرياض المحيطة بمسجد الامام البخارى فى خرتنك ، فاذا غربت الشمس عرج على سياج البستان ، حيث يضع خادم المسجد الطعام على طريقه فيأخذه ثم يأوى الى المسجد ، ليقضى ليله كله فى ركوع وسجود دائمين .

ولكن حيران مع ذلك كله التقى بالشيخ ، وقص عليه القصص ، فرثى الشيخ لحاله ، وطلب منه دفترا ، ووعده بلقائه كل ليلة عند ضريح الامام البخارى ، وفى هذه اللقاءات اخذ حيران يسأل ، والشيخ يجيب ، ويسجل اجابته حيران ، فكانت حصيلة هذا الحوار « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » .

وتمثلت فى تلك الليالى الهادئة بجوار الضريح ، رحلة البشرية كلها منذ البدء ، بحثا عن الحقيقة ، وغوصا فى أعماق الوجود الى سر الوجود ، وتساميا من الكائنات الى مصدر الكائنات ، مع الفلاسفة الأولين فى بلاد اليونان ، الى الفلاسفة المسلمين فى الشرق ، ثم فى أوربا ، ومع العلماء الطبيعيين الذين راوا فى نواميس الطبيعة هداهم الى الايمان بالله ، ومع القرآن حيث فصل قضية الايمان وادلتها باعجاز فاق كل اعجاز .

ولعل المؤلف قد رأى أن محاولات المصريين والهنود القدامى فى البحث عن الله والايمان به لم تكن محاولات منتظمة ، حيث بدأ باليونان . هؤلاء الذين شاقهم البحث عن الله من طاليس الذى رأى أن مصدر الكائنات هو الماء الى انكسمنس وانكسمندر وفيثاغورس الذى كان أول من جرد فكرة الاله عن المادة . ثم اكزانوفنتس وبارميندس ، ومن جاء بعده حتى ظهور السوفسطائيين الذين ذهبوا الى القول بأن الانسان هو مصدر كل شيء ، فما يراه كل انسان حقا فهو كذلك . ذلك القول الذى أنتج للبشرية مفكرا لا تزال تذكره وهو سقراط حيث تحولت بعده محاولات البحث عن الله الى مجراها الصحيح بظهور افلاطون وارسطو اللذين اهتديا الى « نظرية الوجود الميتافيزيقى » والايمان بوجود الله .

ثم اصيبت نظرية الوجود الميتافيزيقى بنكسة مادية عند الرواقيين والأبيقوريين أدت الى ظهور الشكاك ، حتى جاءت الفلسفة الأفلاطونية الحديثة تؤكد وجود اله خالق للكون ، وهكذا تكرر الدور الأول الذى بدأ بالمادية على لسان الفلاسفة الأولين ، ثم توسطته السفسطة ثم انتهى بتوكيد وجود الاله الخالق للعالم على لسان الفلاسفة : سقراط وأفلاطون وارسطو .

وبسعة صدر المؤمن العالم ، يقول المؤلف على لسان الشيخ الموزون : أن هؤلاء جميعا وان اخطأهم التوفيق فى كثير من الأحيان ، فقد وصلوا الى الحق فى أحيان أخرى ، وخاصة فيما يتعلق بوجود الله ، دون وحى يرشدهم الى وجوده ، اذ أن الدين والفلسفة الصحيحة لا يتضاربان ، والذين آمنوا بوحى الله كالفارابى وابن سينا وابن مسكويه رأوا فى الفلسفة واحة لرياضة عقولهم ، ومجالا لتأييد عقيدتهم ، وأوضح شاهد على ذلك ما يسوقه المؤلف من قصة حى بن يقظان التى تبرز لقاء العقل والدين معا على الحقيقة .

ويعرض الكتاب هنا للامام الغزالى والفيلسوف ابن رشد وخلافهما المشهور ثم يحمل على ابن رشد ويكذبه في وسيلته وان انصفه للحقيقة فى هدفه .. يقول الشيخ نديم :

« ولكن الرجل — يعنى ابن رشد — سامحه الله لم يكن مخلصا كل الاخلاص فى وضع هذا الكتاب — تهافت التهافت — وفى تسميته ، ولا مبرأ من حب التحذق واظهار الفضل والسبق فى مضمار الفلسفة ، فناقش الامام فى كل ما رد به على الفلاسفة من المسائل مناقشة لم يقصد بها ابطال الحقائق التى دافع عنها الامام ، بل أراد اظهار خطئه فى طريقة الاستدلال ، وتقصيره فى فهم مقاصد الفلاسفة . وقد كان رحمه الله فى غنى عن هذا اللمز والتفيهق مع رجل يدافع عن الدين ، وكان يكفيه أن يتناول المسائل الكبرى ، كوجود الله ، وخلق العالم ، فيبين بأسلوب العالم المخلص العف اللسان أن الفلاسفة لم ينكروها ، ويتأول لهم ما شاء وأراد من أقوالهم من غير غمز أو لمز ، ومن دون أن يسمى كتابه « تهافت التهافت » فى مقابلة تسمية الغزالى لكتابه «تهافت الفلاسفة» ، ففى هذه التسمية من الظلم وقصر النظر ما لا يتفق مع الحق والحكمة والاخلاص والأدب مع الله . فالغزالى انما سمى كتابه « تهافت الفلاسفة » وهو يعتقد أنه يبطل أقوال جماعة يكادون ينكرون وجود الله بما يزعمون من قدم العالم ، وبما يقولون فى علم الله وارادته ، وسواء أكان على حق فى فهمه لأقوالهم ، أو على غير حق — كما يظن ابن رشد — فانه على كل حال رجل مخلص يدافع عن الله ، ويدعو الى الايمان ، ويسد على الناس باب الشبهات . فأى داع يدعو لأن يسمى عمله هذا تهافتا من غير تفكير ، بما ينجم عن هذه التسمية من تصغير لقدر الكتاب ، وتزهيد للناس فيه ، وتشكيك لهم بما ينطوى عليه من الحق والخير » .

ومن الوقفة التى طالت مع الغزالى وابن رشد ينتقل الحوار الى أبى العلاء المعرى ويصف الكتاب ابا العلاء بأنه لم يكن فيلسوفا بالمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة ، وانما كان من أصدق الناس ايمانا بالله ، وصبرا على بلائه ، وانما كان شكه فقط فى الامور الاخرى كالقضاء والقدر ، وحكمة الخلق ، وحقيقة الروح والنفس .

وليت شعرى ماذا يكون الايمان بعد ذلك وما قيمته ان لم يمنح المؤمن

راحة النفس ويقين القلب ، خاصة وقد أعطى الدين الجواب المرضى لهذه الامور واعتبر الايمان بالقضاء والقدر ركنا للايمان .

والى اوربا بعد ذلك يتجه الحديث عن فلاسفتها العباقرة ، حتى يصل الى علمائها . ويقف عند داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء ، ويعرض المؤلف هنا للرسالة الحميدية لوالده الشيخ حسين الجسر ، حيث يناقش داروين والطبيعيين لينتهى الى أن هذا المذهب وغيره من مذاهب العلماء لو ثبتت فانها لا تتعارض مع الدين .

ومن الأفق الواسع لتلاقى العباقرة من الفلاسفة والعلماء يهبط التلميذ وشيخه الى « ليلة الامتحان » حيث يقرران معا ان الدين الحق لا يتعارض مع النظر العقلى الخالص ، والبحث العلمى الصحيح ، ثم راح الشيخ يتلو على تلميذه آيات القرآن التى ضمت كل أنواع البراهين العقلية الدالة على وجوده تعالى وكمالاته .

وهذه الفصول الاخيرة من اروع فصول الكتاب وأهمها حيث تشرح بوضوح انعدام حظ المصادفة فى خلق هذا الوجود وتسييره ، وتتصفح آيات الله فى السماء والأرض والقمر ، وكيف ينزل المطر والمعجزة فى جريان الفلك فى البحر ، وما يشير اليه هذا مما عرفه العلم بعد ذلك فى قانون أرشميدس ، ثم الماء والهواء وقوانين الصوت والضوء حتى قانون النسبية ذاته .

ثم هبط بهما التطواف الهادىء المتأمل فى ملكوت السموات والأرض الى النفس ، وما خلق الله للانسان من قلب ولسان وأذن ، وما بث فيه من عواطف مما ينفى وجود أى أثر للمصادفة .

ومرض التلميذ الحيران ، ثم خرج من المستشفى ، وافتقد أستاذه خمسة أيام ، فلما سأل عنه أبلغ بأن شيخه سبقه الى الله ومات . وترك له وصية طويلة ، كانت وحدها العزاء للتلميذ الحزين . وكان ختامها :

« يا حيران بن الأضعف : احفظ هذه الأمالى التى أمليتها عليك مع هذه الوصية الاخيرة وانشرها على الناس لعل الله يشرح بها صدور الحيارى ، ويصلح بالهم ، ويهدى من يشاء منهم الى الطيب من القول والى صراط الحميد .

يا حيران بن الأضعف : ان كان فى الأجل فسحة تلاقينا والا فترحم علينا »

والى هنا يبلغ الشيخ نديم قمتين : قمة الوصول الى الهدف الذى قصد اليه من كتابه ، وقمة العاطفة القوية التى تشده نحو أبيه العلامة الشيخ حسين الجسر أو التى تشد حيران الى الشيخ الموزون . حتى سمعت أن المؤلف كلما قرأ هذه الوصية فاضت عيناه بالدمع وانطلقت منه الدعوات لأبيه . .

وبعد . . فلا أظن — للحق والأمانة — أننى قد أغنيت عن قراءة الكتاب بهذه الكلمات المتواضعة فانه كتاب لا يغنى عن قراءته الا قراءته ، وحسبنا أنه كتاب رائع ، وأروع ما فيه أنه للعصر الذى كتب فيه . . هذا العصر الذى يموج بالانحراف والشك . . فهو للشباب يهدى الحيارى منهم ، وللشيوخ يقدم لهم فى خريف العمر الوسيلة المقنعة الى الايمان الذى يهتدى اليه الفيلسوف المخلص ، والعالم الحق ، والمؤمن الصادق .



قال الاستعمارى المتعصب (رديارد كبلنج) شاعر الامبراطورية البريطانية التى غربت عنها الشمس (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) . وهـذه أصدق كلمة قالها ذلك الرجل الجهنمى الذى تمنى أن تضم الامبراطورية البريطانية تحت جناحيها جميع ما على الارض من ممالك وأمصار .

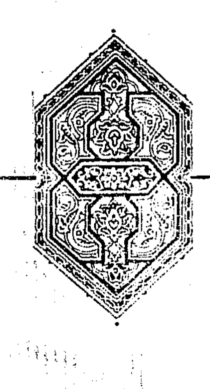
والشرق بروحانيته وطهارته وصفائه وكونه مهبط الأديان السماوية وغير السماوية ، لا يمكن أن يلتقى بالغرب فى جحوده ووحشيته وانانيته وعبادته للمادة وحدها ، وجنوحه الى الشر واندفاعه الى مهاوى الجرائم والمنكرات .

ولقد كان الغرب ــ حتى فى أيام جاهليته البشعة ــ يحقد على الشرق ، ويحاول أن يبيد ما عليه من أناس وخيرات وكنوز ، وما حديث (الاسكندر الاكبر) عنا ببعيد .

وفى القرون المظلمة ، التى كان الغرب يعيش فيهـا على الجهل والفقر والمرض ، تجمعت فلول من ممالكه واماراته ، واعتزمت أن تغـزو الشرق تحت راية صليب المسيح ، مع ان المسيح برىء من أصحاب هـذه الحروب ، التى اقترنت باسم صليبه ، فقد كان السيد المسيح عليه السلام يدعو الى السلم ، والى الرحمة ، والى التعاطف بين الناس جميعا ، لا فرق بين غربى وشرقى ، ولا بين امير وفقير ، وكان يحرم الحروب ، وهو القائل (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) .

لم يكن الدين المسيحى هو الذى دعا هـذه الوحوش من الغرب للحروب الصليبية ، ولكن كانت هناك أسباب كثيرة هى التى اضطرت جيوش الغرب الى أن تتجه الى الشرق . منها افلاس خزائن كثير من الدول الغربية وخلافات شديدة بين هذه المملكة وتلك على ما حققه المؤرخون .

وشاءت ارادة الله أن يضـعف بعض الحاكمين فى الشرق ، وأن تجرفهم الخلافات الشخصية الى أبعد مدى .. الى الخيانة حيث يستعين البعض منهم



للأستاذ : محمد علي غريب



ثلاثة

بالصليبيين على اخيه المسلم دون رادع من دين ومن ضمير .

وهكذا كانت حال المسلمين ، لا لأنهم كانوا غير قادرين على الدفاع عن سيادتهم ، بل لأنهم تنازعوا فيما بينهم ، فاستطاع عدوهم أن يملك بعض المناطق فى بلادهم .

ومن بين الذين اقامهم الأوربيون على فلسطين ذلك الوغد المسمى (الملك جون) والذى كانت تلقبه زوجته السفاحة (القديس جون) كان هذا الوغد وحشا ضاريا لا يتورع من انتهاك الحرمات ، وارتكاب الجرائم والنزول الى مستوى السفلة والأنذال .

كان يبغض المسلمين بغضا شديدا ، وكان يتمنى أن لو كان لهم رأس واحد لقطعه واستراح منه ، وكان لا يحترم معاهدة ، ولا وعدا قطعه على نفسه ، وقد كانت بينه وبين البطل الاسلامى صلاح الدين الأيوبى معاهدة تقضى بألا يتعرض للمسلمين ، وهم فى طريقهم الى الحج ، غير أن هذه المعاهدة لم تكد تتم ، حتى مزقها هذا الصعلوك الغادر ، اذ سلط جنوده البغاة على قوافل الحجاج المسلمين فأبادهم عن آخرهم .

ولما بلغ هذا النبأ المروع مسامع البطل صلاح الدين اقسم انه لا بد أن يقتل هذا الشرير الغادر .

ولقد بر صلاح الدين بقسمه هذا . فلما دارت رحى الحرب بين جيوش المسلمين وجيوش الأوربيين ، وانتصر المسلمون انتصارا رائعا ، جيء بهذا الملك النذل الى صلاح الدين فقتله شر قتلة ، جزاء حنثه فى معاهدته ، واقترافه جريمة من أبشع الجرائم الانسانية .

فى هذا العهد الذى ظهر فيه هذا الملك الكريه على مسرح السياسة فى بلاد المسلمين ، كان جنوده اشد منه بغيا وارتكابا للجرائم ، وتحررا من كل قيد انسانى يعصمهم من الهبوط الى الدرجات السفلى واقتراف المنكرات فى غير

ما حياء ولا خجل .

وكان من بين هؤلاء الجنود ما لا يمكن أن يسمى انســـانا ، وان كانت له ملامح الانسان ومظهره ، وكان يدعى (جورج فينست) .

كانت حياته كلها تقوم على الخمر والنساء ، وكان بعض زملائه يصـــفونه بأنه فى الحرب جبان رعديد لا يستطيع أن يخوض معركة الا توارى وراء الجنود ، فلا يصيبه من أحداثها شىء ، ولكنه عندما ينفرد من عقال الحرب يصبح وحشا كاسرا ، تقوده غريزته الدنيئة الى اشباع بطنه وجسده بما خلق له وهو الخمر والنساء .

وكان زملاؤه الجنود يضيقون بشروره وآثامه ، فلا يحبون أن يلتقوا به ، ولا أن يجتمعوا معه على مائدة واحدة .

كانوا يعرفون عنه أنه اذا شرب كؤوسا من الخمر انقلب الى شـــيطان رجيم ، يضرب ويحطم ويقتل ولا يرده عن ذلك قانون ولا عرف ولا نظام .

وعلى مسافة غير بعيدة من القدس كانت تقع (قرية ابو العـــافية) وقد محيت من الوجود منذ مئات السنين لاسباب لا سبيل الى تقصيها الآن . كانت هذه القرية هادئة وادعة ، تضم عائلات مترابطة متعاونة فيما بينها ، ولا يكاد يصيب أحدا من أبنائها ســوء حتى يجتمع أهل القرية كلهم عنــــده يواسونه ، ويخففون عنه ما أصابه ، ويبــــذلون غاية جهدهم فى أن ينهض من كبوته بما يقدمونه اليه من معونة ومساعدة .

وكان لشيخ هذه القرية ابنة وحيدة اسمها (هند) على غاية من الجمـــال والفتنة ، مع خفر وحياء شـــديدين ، وطهارة وبراءة تجعلانها خليقة بالزوج المناسب ، الذى تحفظ عليه عرضه وتصون شرفه .

وكان لها ابن عم وهو خطيبها واسمه (ابراهيم) وكان الحب بينهما اقوى ما يكون ، مع عفة ونزاهة ، ولم يكن أحد فى القرية يستطيع أن يرفع عينيه الى وجه هند ، وينظر اليها نظرة خاطئة ، فقد اتفق أهل القرية — على ما تقضى به عاداتهم وتقاليدهم الكريمة السامية — على أن الفتاة المخطوبة لا يجوز النظر اليها احتراما للعرف المتبادل .

وكان ابراهيم فتى متين البنيان ، قوى الجسم ، وســيما جريئا ، لا يهاب الخطر بل يتحداه ، وكان قد أنف من بقائه فى القرية وجيوش المسلمين تتصارع مع أعداء الله ، فغادرها ليلحق بجيش صلاح الدين .

ولقد أبلى ابراهيم فى حروب صلاح الدين بلاء شـــديدا ، وبرزت مواهبه العسكرية فى جراة وشجاعة ، حتى استحق أن يذكر اسمه عند صـــلاح الدين مقترنا بالحمد والثناء .

فقربه صلاح الدين اليه ، وجعله من خاصته ، وأغدق عليه من بره وعطفه ما جعله يضاعف فى ساحات الوغى من مقدرته وبسالته .

وندع ابراهيم الى شأنه فى معاناة الحروب ، ومجالدة الاعداء لنعود مرة اخرى الى قرية « أبو العافية » حيث كان أهلها يتخفون فى بيوتهم بعد أن ذهب شبابهم الى الحرب ، وبقى فيها العجائز والنسوة والاطفال .

ولا يدرى الا الله اية ساعة نحس جلبت الى هـــذه القرية الآمنة المطمئنة قدمى هذا الغول البشع (جورج فينست) .

لقد قدم اليها ومعه عشرة من رفاقه ، وكان أهل القـــرية يعلمون جيدا ما الذى يقصد اليه هؤلاء الذئاب ، فكانوا يخفون فتياتهم فى أمكنة مظلمة ، حتى لا

تقع عليهم أعين أولئك الأنذال .

وانفرد « جورج » وحده بالسير في جهة قصية ، وشاءت المصادفة السيئة أن يقع بصره على (هند) وراح يركض ، حتى أمسك بها ، وحاول جاهدا أن يغتصبها ، ولكنها قاومته ببسالة ، وأمسك النذل بسكين يتهددها بها ، فلما تظاهرت بملاينته ، والخضوع له ، ترك السكين تسقط من يديه على الارض ، وعندئذ التقطتها هند وصوبتها نحوه فجن ، وأراد أن ينتزعها منها ، فاستطاعت أن تمزق اصبعين من أصابعه .

وحينئذ تملكته ثورة طاغية ، فلم يفكر في الفتاة ، ولكنه راح يطعنها بالسكين حتى لفظت أنفاسها وهى بريئة طاهرة .

وربط الوغد يده بمنديل ، ووقف مهتاجا يعوى من الألم ، وعاد الى المعسكر ، وكان أهل القرية قد تجمعوا على صرخات الفتاة ، ولم يكن فى طاقاتهم أن يمنعوا عنها هذا الاعتداء الوحشى ، فلما انقلب جورج الى معسكره اقتربوا من الفتاة ، وعرفوا حقيقة ما حدث ، وكان بكاء ، وكان عويل .

وظلت القرية فى حزن دائم على هذه الفتاة التي ضحت بروحها فى سبيل شرفها وعفافها ، ولم يحتمل والدها الشيخ وقع هذه المأساة على قلبه فمات كمدا . ومضت الأيام .

وبرز اسم صلاح الدين ، وكان على راس جيوش الاوربيين مخلوق ليس من دم ولحم ، بل هو من حجر صلب اسمه (ريتشارد قلب الأسد) تخلت عنه نوازعه الانسانية جميعها ، فأصبح تمثالا من حجر ، الا انه حجر يؤذى ويسىء . وقد وصفه انجليزى من ابناء وطنه اسمه (تشارلس كالتون كوفن) فقال عنه وهو يتحدث عن أخيه (جون لاكلاند) :

« أنه (ريتشارد قلب الأسد) الذى اتصف بالشجاعة ، ولكنه كان شريرا ، ليس للرحمة فى قلبه سبيل ، وكان قائد جيوش الحروب الصليبية ، وحارب العرب فى فلسطين ، وكان صلاح الدين الأيوبى على راس العرب ، وقائد جيوشهم وفى يوم ما طلب الى طاهيه أن يحضر له لحم الخنزير الطازج لغذائه ، ولكن الطاهى لم يكن لديه لحم خنزير ، ولم يكن يدرى من اين يأتى به ، فاضطرب وقلق ، لأنه اذا لم يوجد على المائدة اللحم المطلوب ، فان ريتشارد لا محالة سيقتله ، وكان قد سمع أن لحم الانسان يشبه مذاقه لحم الخنزير ، فقتل أسيرا عربيا ، وطبخ بعض لحمه ، ووضعه على المائدة ، ومدح الملك الطعام ، وربما ظن فى نفسه أن اللحم ليس لحم خنزير فقال للطاهى : احضر لى رأس هذا الخنزير حتى أراه .

ولم يدر الطاهى ماذا يفعل ؟ انه اذا لم يقدم الرأس فان رأسه ولا شك سيقطع ، وامتلكه الفزع ، وأخذ يرتعد فرقا ، وأخيرا احضر راس الأسير العربى ، فضحك الملك وقال :

اذن لا حاجة بنا الى لحم الخنزير ، ما دام لدينا ستون ألف أسير عربى !! ولم يزعجه انه اكل لحم آدمى ، وأرسل اليه صلاح الدين ثلاثين رسولا ألا يقتل الاسرى ، فاقام لهم مادبة ، وبدلا من أن يزينها بالأزهار ، قتل ثلاثين عربيا ، ووضع رؤوسهم على المائدة ، وبدلا من أن يجيب طلب صلاح الدين ، ذبح ستين الف عربى بين رجال ونساء وأطفال فى السهل الشرقى لمدينة عكا » .

هكذا كانوا فى حروبهم مع المسلمين ، غير أن الله جلت قدرته أراد أن

ينتقم للشهداء فدحرت جيوش صلاح الدين جيوش الأوربيين ولم يبق منهم الا فلول هائمة شاردة .

فى هذه الأثناء عاد ابراهيم ، خطيب هند الى قريته ، وهو ظافر منصور ، ولم يكن يزدهى ببطولته ، ولا يغتر بشـــجاعته ، فقد كان يؤمن فيما بينه وبين نفسه بأنه انما يؤدى الواجب نحو دينه ووطنه وحسب .

وكانت أنباء فروسيته قد سبقته الى قريته (ابو العافية) وكذلك الحظوة التى نالها لدى البطل صلاح الدين .

واستقبله أهل القرية بحفاوة بالغة ، ولكنها كانت حفاوة مشـــوبة بالحزن والأسى ، ولم يلبث طويلا حتى عرف الحقيقة ، ووقع نبأ الـــكارثة عليه وقوع الصاعقة ، فلم يستطع أن ينطق بحرف ، وظل اياما يسير فى طرقات القرية هائما لا يدرى ماذا يفعل ؟ لقد رووا له ما حدث ، وكان الذى حدث فظيعا ، لا يمـــكن تصويره ، ثم ذكروا له مع الاعجاب أن فتاته دافعت عن عرضها وشرفها ، وانها بترت اصبعين من أصابع الوحش الذى أراد الاعتداء عليها من يده اليمنى .

وقال ابراهيم :

ـــ صفوه لى وصفا دقيقا شاملا .

ووصفوه فقالوا :

انه ضخم الجثة فارع الطول يغطى شعر لحيته وجهه كله .

وغادر ابراهيم القرية ، يضرب فى فيافى الارض على غير هدى ، يبحث عن هذا الجبان الذى استغل ضعف فتاة مســكينة طاهرة ، وراح يختلط بفلول الأوربيين ، الذين بدد شملهم صلاح الدين ، حتى حسبه بعض الأهلين ضالعا مع هذه الوحوش الكاسرة ، وراحوا يبتعدون عنه ، ويتهربون منه .

ولم يكن يبالى شيئا من اهتمام الناس به ، أو قلة مبالاتهم لشأنه ، فان له من وراء سعيه الدؤوب غرضا أسمى هو أن يعثر على هذا القاتل الدنىء ليجرعه غصة الموت .

وعثر على ضالته اخيرا منفردا وحده فى احدى الحـــانات ، وقد عرفه باصبعيه المبتورتين ، فاقترب منه ، وراح يحدثه عن ســهرات حمراء فيها خمر ونساء ، وعندئذ استيقظ الوحش الكامن فى أعماق هذا الغول البشرى ونهض ليرتوى من هذه السهرات الحمراء .

وقاده ابراهيم الى منزل أحد أصدقائه ، يقيم قريبا من هذا المــكان ، فلما احتوتهما غرفة مستطيلة ، أحضر ابراهيم الخمر وجلس يتظاهر بالشراب ، وكان (جورج) هذا قد شرب حتى لا يستطيع الحراك .

وفى لغة السكارى التى يشوبها التلعثم كان جورج يســأل فى عصبية وجنون :

ـــ أين .... أين .... النساء ؟

وكان ابراهيم يهدىء من ثائرته ، حتى اذا اطمأن الى انه راح فى غيبوبة السكر ، ولن يستطيع أن يحرك اصبعا ، قام اليه ابراهيم وحز رأسه بسكين ، فكان له فى نزعه الاخير خوار أشد عنفا من خوار الثور الذبيح .

وبعد ذلك حمله ابراهيم بمساعدة صديقه ، والقيا به فى أوحال الطريق .

فى هذه الأيام كانت جنود المسلمين مظفرة ، وفلول الأوربيين مبعثرة ، فلم يعد أحد يهتم برؤية جثة لواحد منهم ملقاة فى العراء .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حق الطـــلاق

الســؤال :

أولا : اريد الزواج من امراة اشترط اهلها لاتمام عقـــد الزواج أن تكـــون العصمة بيدها . **فهل يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد ؟**

ثانيا : اذا كان الزوجان قد بلغا سن الرشد . فهل عقد زواجهما بدون ولى صحيح ؟.

ارجو بيان حكم الشرع فى السؤالين .

م ــ ط ــ ع / الكويت

الاجابـــة :

بالنسبة للسؤال الاول : الأصل فى الزواج أن تكون العصمة بيد الرجـــل **دون المراة ، فالرجل هو الذى** يملك الطلاق ، وقد شرعه الله واستقل به الزوج **لانه يحتاج الى كثير من** التريث والتفكير ، خصوصا وان الطلاق يترتب عليه تبعاته **المالية من حلول مؤخر** صداق ونفقة عدة على الرجل الى غير ذلك من الامـــور **التى تجعله يفكر فيما** يحدثه من طلاق قبل أن يقع فيه ، وقد ذهب الفقهاء الى أن **للزوجة ان تشترط** عند الزواج أن تكون العصمة بيدها ــ بشرط أن تبدأ المـــرأة **بالشرط فتقول زوجتك** نفسى على ان أمرى بيدى فيقول الزوج قبلت ويكون هذا **القول بنفسها او بوليها** او بوكيلها والمؤمنون عند شروطهم ــ وبما ان الزوجـــة **قد ملكت هذا الحق فلا مانع** من تنازلها عنه برضاها لأنه خلاف الأصل . بخلاف **الزوج فانه لو قرر انه لا يصح** له طلاقها فلا يعتد باقراره لأنه حق ثابت له أصلا . **ومن باب التزام ما لا يلزم** ، فلو طلقها رغم تعهده بعدم طلاقها فانه يقع طلاقه .

وبالنسبة للسؤال الثانى : وهو صحة الزواج بدون ولى فقد ذهب جمهور **الفقهاء من مالكية** وشافعية وحنابلة الى أن الزواج لا بد فيه من ولى استنادا الى **قول الرسول عليه الصلاة والسلام** : (من انكحت نفسها بغير ولى فنكاحها باطل ، **باطل ، باطل**) **والى قوله** عليه الصلاة والسلام أيضا : (لا نكاح الا بولى وشاهدى **عدل**) . **وذهب الحنفية الى جواز ذلك بالنسبة للبالغين الراشدين .**

وخلاصة القول بالنسبة للسؤال الأول وهو اشتراط العصمة بيد الزوجة

فهو جائز شرعا كما يجوز لها التنازل عن هذا الحق بعد العقد .
وبالنسبة للسؤال الثانى وهو الزواج بدون ولى فهو غير جائز على رأى جمهرة الفقهاء . جائز عند الأحناف .

فى الطـــلاق

الســـؤال :

حلفت بالطلاق بالثلاثة مرتين فى مكان واحد — أنى ما أعطى والدتى نقودا ولا أنوى طلاق زوجتى ، وذلك من مدة أربعة أيام ، ثم اعطيت والدتى نقدية بعد يومين ولم يسبق ايمان طلاق قبل ذلك .
فما حكم الشريعة ؟

(ش. م. ع)

الاجابـــة :

الحلف بالطلاق بالثلاث بلفظ واحد او بالتكرار فى مجلس واحد لا يقع به الا طلقة واحدة رجعية على ما جرت عليه الفتوى اذ انه كان الأمر على هذا فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وسنتين من خلافـــة عمر ، وبما أن السائل حلف بعدم اعطاء والدته نقودا ، فهو من قبيل الطلاق المعلق ويقع الطلاق عند حصول المعلق عليه .
وبما أن السائل — أعطى والدته نقودا بعد حلفه فيقع يمينه طلقة واحـــدة رجعية ، وله مراجعتها بالقول أو بالفعل فى أثناء العـــدة وتحل له بعقـــد ومهر جديدين بعد انتهائها .

. . . .

التركة الملوثـــة

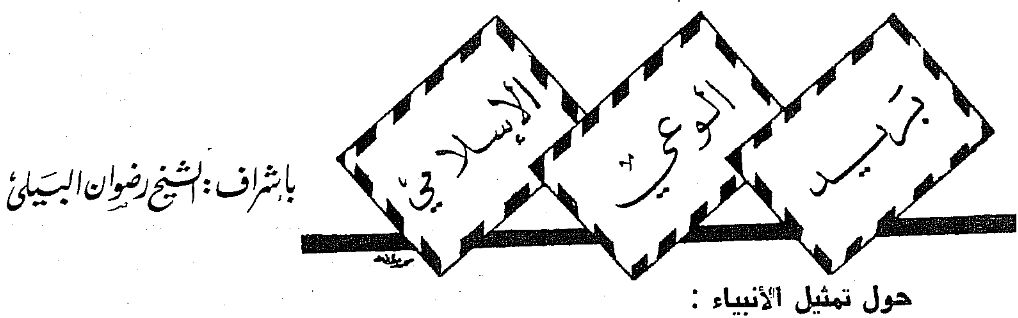
الســـؤال :

رجل صاحب أعمال واسعة ومعاملاته معظمهـــا مع البنـــوك تحت ضغط طبيعة العمل واتساعه ، ودخل فى اعماله معاملات ربوية ثم توفى هذا الرجل .
فهل يجوز لولده أن يأخذ حصته من تركة والده ، وهل يعتبر آثما اذا كان مصرفه وطعامه فى بيت أبيه ؟

مسلم فى العراق

الاجابـــة :

ضغط العمل واتساع التجارة ، وما الى ذلك . كل هذا لا يبيح التعامـــل بالربا فى اى ظرف من الظروف .
أما بالنسبة لأخذ الولد نصيبه من تركة والده فجائز ، قال تعـــالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، وقال أيضا : « كل نفس بما كسبت رهينة » . فبوفاة الوالد تكون تركته ميراثا لورثته كل واحد منهم يأخذ نصيبه منها ولا شأن لهم فى كون التركة فيها شىء من الربا أو ليس فيها والاثم على الوالد لا عليهم .
وبالنسبة لمصرفه وطعامه فى بيت أبيه فالأب ملزم شرعا بالانفاق على أولاده من طيب ماله ، والواجب عليه أن يطعمهم من حلال ، والاثم عليه هو اذا أطعمهم من مال حرام وليس عليهم شىء . .



حول تمثيل الأنبياء :

لماذا يعارض علماؤنا فى ظهور نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو على خشبة المسرح أو فى التمثيليات الاذاعية والتليفزيونية مع أننا نشاهد صورة المسيح والكليم عليهما الصلاة والسلام فى أفلام سينمائية قوية ، ولم نسمع أن أحدا من رجال الديانتين عارض فى هذا .. ألا ترون معى أن الزمن تغير ، وأن صناعة السينما والتمثيل تطورت وأن السينما والمسرح من أقوى أجهزة الاعلام ، وأوسعها انتشارا ، وأعظمها جاذبية واغراء .

لماذا لا يستغل المسلمون هذه الأجهزة الاعلامية التوجيهية ، فى التبشير بديننا ، وابراز مواقف البطولة الخالدة لنبينا .. أى فائدة يجنيها الاسلام من هذا التشدد فى الحظر والمنع مع أننى لم أطلع على نص فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله يمكن الاعتماد عليه أو الاستدلال به على هذا المنع والتحريم ؟

(مسلم)

بعد الاكبار والتقدير للدوافع الخيرة التى أملت هذه الرسالة ، وبعد الاشادة والتنويه بما شغل به السيد المسلم نفسه من البحث عن أحدث الوسائل وأنجحها لتبليغ الدعوة ونشر الاسلام .. بعد هذا كله نوضح أن ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام على شاشة السينما ، أو تمثيله على خشبة المسرح .. الخ . أمر يتصل بديننا ، وما يتصل بالدين لا نقلد فيه غيرنا من أصحاب الديانات الأخرى ، وليس عملهم حجة لنا أو علينا وسواء أرضى أرباب هذه الديانات عن تمثيل أنبيائهم أو لم يرضوا فان للمسلمين رأيهم المستقل ، وحكمهم النابع من عقيدتهم ، المستند الى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله — على أن ما نرضاه لنبينا نرضاه لاخوانه الأنبياء والمرسلين ، وما نأباه لنبينا ننزه عنه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .. وبناء على هذا لا يكون ظهور صورة المسيح والكليم وغيرهما من الأنبياء والمرسلين مبررا ومسوغا لتمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم .

يا سيدى : ان تعظيم وتكريم أنبياء الله ورسله أصل عندنا من أصول العقيدة لأن الله عز وجل أمرنا بتوقيرهم وتعظيمهم وتنزيههم عن كل نقص ، وقد أجمع العلماء على أن من عاب نبيا أو عرض به تعريضا يضع من شأنه فهو كافر مرتد .. وتمثيل النبى هو قيام انسان آخر بتقليده فى أقواله وحركاته وسكناته فى موقف من المواقف ، ومهما بلغ الممثل من اتقان دوره والبراعة فى تمثيله والاندماج فى شخصية من يقلده كما يقولون فانه لن يكون كالنبى الذى يمثله تماما ، وهذا يؤدى الى الزيادة أو النقص . وهو كذب على النبى وكذب على الله .. على أن الشخص المقلد لم يتجرد من شخصيته الأصلية بما فيها من عيب ونقص ، ونحن نتصور أنبياء الله ورسله فى أعلى مراتب الكمال الانسانى ، فاذا عرضت شخصياتهم هبطت من هذا المستوى العالى ، وهذا يؤثر على ما وقر فى النفوس من تمجيد هذه المثل الرفيعة . وان الله عز وجل قد حال بين شياطين الجن وبين الظهور فى صورة الأنبياء والمرسلين رحمة بالناس وتعظيما لسفرائه الى خلقه . روى الامام البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : **من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى .**

ان تمثيل الأنبياء والمرسلين يعرضهم ولا شك الى شىء من النقص والمهانة ، وهذه مفسدة تجر الى الفتن بين الناس ، ولهذا عارض علماء المسلمين فى تمثيل هذه الشخصيات الكريمة على الله والكريمة على المؤمنين .. وفى غير هذا من أساليب الدعوة ووسائل التبليغ لدين الله غناء وأى غناء .

وأحب أن أذكر الأخ المسلم بأن الافلام الدينية التى ظهرت فى السينما الغربية مثل (الوصايا العشر) و (الرداء) و (كوفاديس) لم تقابل من الجمهور بالرضا والارتياح ، بل على العكس من ذلك لقد كانت موضع نقد لاذع ، ومثار فتن بين المشاهدين ، وقد قابل النقاد فيلم الوصايا العشر بثورة ، ووصفوه بأنه كان جنسيا أكثر منه دينيا ، وقالوا : ان الشخص الذى قام بدور فرعون فيه كان محبوبا أكثر من الذى قام بدور موسى ، وهل علمت يا أخى أن مخرج هذا الفيلم كان يبحث عن ممثل يسند اليه القيام بتسجيل صوت الله .. اظنك بعد هذا لا ترضى لنا أن نتردى فى هذه الهاوية .

■ ■ ■

اخوان الصفا

وردت الينا عدة رسائل يستفسر فيها أصحابها عن جماعة (اخوان الصفا) عن نشأتهم وأهدافهم وعصرهم ورسائلهم .

وهذه الجماعة كما شغلت أصحاب هذه الرسائل شغلت من قبلهم آلاف الدارسين والمفكرين عبر عدة قرون ، وأفردوها بمؤلفات عديدة ، كما تحدثت عنها دوائر المعارف العربية والأجنبية .

وتتحدث عنها احدى دوائر المعارف فتقول : هى جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية . عاشوا فى البصرة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، ومن أشهرهم محمد بن بشير البستى الملقب بالمقدس ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى ، ومحمد بن أحمد النهرجورى ، والعوفى ، وزيد بن رفاعة .

سموا باخوان الصفا وخلان الوفاء ، وصبوا معارفهم العالية والفلسفية والدينية فى رسائل تزيد على الخمسين ، وهى أشبه ما تكون بدائرة معارف . أو موسوعة فى العلوم المختلفة ، وقد كتبت بأسلوب مسهب فيه تكرار وحض على الفضيلة . وتقع هذه الرسائل فى أربعة أقسام : قسم فى الرياضيات ، وقسم فى الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم فى النفسانيات (العقليات) وقسم فى الناموسيات (الالهيات) ولهم رسالة جامعة تجمع وتوضح كل ما فى رسائلهم وهذه الجماعة أخذت مذهبها من كل علم وقامت على أن الشريعة ملئت بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى تنقيتها الا بالفلسفة .

وقد أحاطت هذه الجماعة نفسها بسياج متين من الكتمان ، وزعموا أنهم لم يكتموا أسرارهم عن الناس خوفا من سطوة الملوك ذوى السلطة ، ولا حذرا من شغب جمهور العوام ، ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لهم ، وشددوا فى تداول رسائلهم ، واوصوا كل من حصل على هذه الرسائل أن يتحرز فى حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ، ويحرسها غاية الحراسة ويصنها أحسن الصيانة .



المجتمع الاسلامى

كتب الأستاذ عبد الستار الهوارى تحت هذا العنوان يقول :

للانسان المسلم رسالة فى الحياة هى ان يكون ذا ارادة ، وللمجتمع الاسلامى رسالة هى أن يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى والعدوان ، ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع الاسلامى ، اذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى مجتمع ، ولا يدفع اذى وعدوان عن مجتمع الا اذا كان أفراده ذوى ارادة ، ذوى مراس على الكفاح ، ذوى قوة على المثالية .

الاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ، وليس مسئولا عن ضعف روابط المجتمع الاسلامى أو انحلاله ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام ، والانحراف فى تطبيقه . كتاب الله ليس مسئولا عما يستورد من الشرق والغرب من فكر فى التوجيه ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه .

وسوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه لا يسأل عنه نفر معين من المسلمين ، انما المسلم ما دام قد ارتضى لنفسه أن ينتسب الى الاسلام — عليه أن يؤمن اولا بقلبه بالله ، فاذا آمن حقا بالله عرف الطريق الصحيح اليه **((واتقوا اللـــه ويعلمكم اللـــه)) .**

ترد بضاعة من الشرق واخرى من الغرب . بعضها يدعو الى الالحاد ويكفر بالانسانية وبقيمها . وبعضهـا الآخر يدعو الى الطغيان ، طغيان المال على القيم الانسانية ، وطغيان النار والحرب والقوة المادية على حق الشعوب فى الحرية والحياة .

واسلامنا لا يتصل بالشرق أو بالغرب ، لأنه يقوم على الايمان بالله ، وعلى تمجيد القيم الانسانية ، وعلى مكافحة الطغيان فى أية صورة ، أننا لسنا شرقيين ولا غربيين ، اننا مسلمون ، اننا دعاة الايمان بالله وحده وبالقيم الانسانية الفاضلة .. اننا مجندون من ديننا لمقاومة الطغيان ، واحلال العدل والسلم محله .

ان اسلامنا لا يعرف مجتمعا يقوم على ارستقراطية المال والشرف ، كما لا يعرف مجتمعا يقوم على خصيصة العمل البدنى وحده ولكن يعرف التفاضل بين افراده على اساس توجيهه . **((ان اكرمكم عند الله اتقاكم))** . ولذا لا يقر ان تتحكم طبقة فى طبقة ، ولا طائفة فى طائفة .

اسلامنا يعتمد على الضمير فى الانسان ، ولذا لا يعرف الارهاب فى دفع الأفراد . اسلامنا يعتمد على الخشية من الله ، ولذا لا يخشى طغيانا فيه ، من مجموعة على مجموعة .

للمستورد من الغرب او الشرق بريق ، ولكنه بريق خادع ، واسلامنا هو الذهب

الذى لا تتغير قيمته ، ولكننا فى حاجة الى ان نزيل عنه ما لابسه من سوء الفهم ، وانحراف التطبيق .

مشروع لتدارس القرآن الكريم ..

وفى هذه الآونة التى اشتدت حاجة المسلمين فيها الى ما يزكى نفوسهم ويطهر قلوبهم ، وينقلهم من الجو المادى الكدر الذى طغى على الحياة الى جو روحى طهور يقترح الاستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائى المدرس فى كلية الدراسات الاسلامية — بغداد — هذه التجربة التى نرجو ان ينتفع بها المسلمون فيقول :

التجربة من ايران وآمل أن يثير وصفى لها مناقشة جمهور القراء عسى أن نخرج بمشروع مناسب نستفيد منه نحن فى البلاد العربية على وجه الخصوص ، كما آمل أن يستفيد منها شبابنا المغترب فى الشرق والغرب ، وعلى الأخص الشباب المسلم فهو بحاجة ماسة الى هذه التجربة والى معطياتها والى الدفء الروحى الذى يحسه المشاركون بتلك الجلسات التى سأصفها :

والتجربة تقوم على دراسة القرآن وتلاوته فى جو روحى بهيج ففى كل حى يجتمع بعض الناس ويسجلون أسماءهم عند متفقه باعتبارهم يرغبون فى تلاوة القرآن الكريم وفهمه ، وبعد أن يجتمع منهم عدد مناسب يحددون ليلة الجمعة موعدا للاجتماع على أن يكون ذلك فى (دار) أحدهم ، ثم تجهز مصاحف ورحلات توضع عليها حسب العدد ، فاذا آن أوان الاجتماع توافدوا على الدار بعد ان يضعوا مصباحا خاصا امام الباب ، وبعد أن يكتمل العدد تبدأ الجلسة بتلاوة القرآن من رئيس الجلسة ، وهو فى العادة رجل متفقه فى الدين ، وبعد أن ينتهى من التلاوة يطلب ممن يليه أن يعيد ما قرأ ، وهكذا حتى ينتهى من القراءة آخر شخص مسجل فى (الدورة) كما يسمونها وفى خلال ذلك يكون المتفقه أو رئيس الدورة قد استمع للكل وأصلح لهم ما يحتاجون من قراءتهم .

ثم يبدأ بعد ذلك اما بشرح معانى الآيات حينا أو التحدث عن باب من ابواب الفقه أو شرح حديث من أحاديث الرسول الكريم . . وبينما يكون الرجال يقرؤون بصوت مسموع تكون نساء الحى فى الغرف المجاورة تستمع الى هذه التلاوة كما تستمع الى الدروس التى تعقبها . . فاذا انتهى كل ذلك حددوا مكان الجلسة القادمة من الأسبوع القادم .

وهذه الجلسات تكون مفتوحة يستطيع ان يحضرها كل من احب . . ونظرا لتعدد هذه الجلسات وكثرتها فى المدينة الواحدة فهى تختص عادة بأهل الحى ، ومن النادر أن يطرقها غريب فاذا حضر أحد فهــو مجرد مستمع ليس الا ، فاذا رغب بالانضمام للحلقة فعليه أن يسجل اسمه ليعد له مصحف للتلاوة ، ويدخل ضمن أعضاء الحلقة وكل داخل يستقبل بالتشجيع .

واذا بدأ الدرس فلا كلام ولا حديث ، وللجلسة نظام وادب ، وفيها روحانية ، وهى تنهى دائما بدعاء وابتهال الى الله تعالى . . فهى من هذه الناحية جلسة روحية وتلاوة قرآنية ودرس تثقيفى وواسطة تعارف . . وأعتقد أن هذا المنهج — يناسب الإقليات المسلمة والمغتربين بالدرجة الأولى .

قالت صحف العالم

الأمة العربية
صاحبة الرسالة الخاتمة

وجاء فى صحيفة الرائد التى يصدرها النادى العربى بندوة العلماء فى لكنو بالهند خطبة طويلة للسيد/أبى الحسن الندوى فى طلابه نقتطف منها :

ان هذه الأمة سوف تبقى بعد هذه النكبة ، او النكبتين بل بعد خمسين نكبة — لا قدر الله — فاننى أعيذ سمعى وبصرى واعيذ ايمانى وعقيدتى ان تكون هناك نكبة بعد هذه النكبة ، واننى اعيذ الأمة العربية العزيزة ان تكتب لها نكبة اخرى بعد هذه النكبة .

ان هذه الأمة ايها الأبناء الأعزة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات ، صاحبة الرسالة الاسلامية ، وصاحبة النبوة الاخيرة ، صاحبة الكتاب الأخير ، صاحبة الأمانة الاخيرة ، صاحبة الاتصال الأخير اتصال الارض بالسماء .

ان هذه الأمة العربية ولو نكبت بأعظم من هذه النكبات — كما قلت لكم — ولو اقصيت من ميدان القيادة العالمية ، لا تزال موضع الثقة فى التاريخ الاسلامى ، هى موضع الثقة فى تاريخ البعث الاسلامى ، موضع الثقة فى التاريخ الانسانى ، انها اكرم أمة ، وأغنى امة ، واشرف امة فى اخلاقها ، ابى الله أن تضيع فى هذه الزلازل والنكبات .

انه لا بقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد ، وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى ، اندثرت أمم فاندثرت اديان ، وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين — قد تندثر امة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين لأنه قد ادى رسالته وفقد صلاحيته ، ثم تندثر هذه الأمم التى كانت تدين به ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد قال : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** فاذا كان هذا الكتاب مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله **(ان علينا جمعه وقرآنه)** فقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله تعالى مكفولة البقاء ، مكفولة الحياة ، فانه لا فائدة فى بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة ، واذا ضاع اهلها فمن يفهمه ؟ ومن يفسره ؟ ومن يعرف مبادئه ومضمراته ومكنوناته ؟

المؤتمر العام للتربية الدينية

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية توصيات اللجان الفرعية المنبثقة عن المؤتمر العام للتربية الدينية ، واشارت الى اجتماع اللجنة المكونة من وزير التربية والتعليم ونائب وزير الأوقاف ، والسكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ووكلاء وزارتى الثقافة والارشاد وممثلين من الجامعة العربية

وجامعة الأزهر ومجلس الأمة والهيئات النسائية فقالت :

القى الدكتور لبيب شقير كلمة تحدث فيها عن الأهداف التى ترمى اليها التربية الدينية وهى تكوين العقيدة لدى ابنائنا ، والعناية بالأساس الأخلاقى لشخصية الفرد ، وجعل الفرد يرجع الى القيم الدينية فى جميع شئون حياته . وهذا كله يقتضى توجيه أبنائنا الى العلم بأن كل شىء فى الحياة يمكن الرجوع فيه الى الدين . ومن ذلك قضايا العلم وموقف الاسلام منها وقضايا الانتاج . ثم قال وفى اعتقادى أن أسلوب دراسة الدين اساس لخلق مقومات النفس عند الطالب ، وتحدث بعد ذلك عن دور الجامعات والمعاهد العليا فى هذا المجال ، فقال انه يجب أن يكون لها دور فعال ، ونحن نبحث كيف نستثير طالب الجامعة للبحث الدينى .

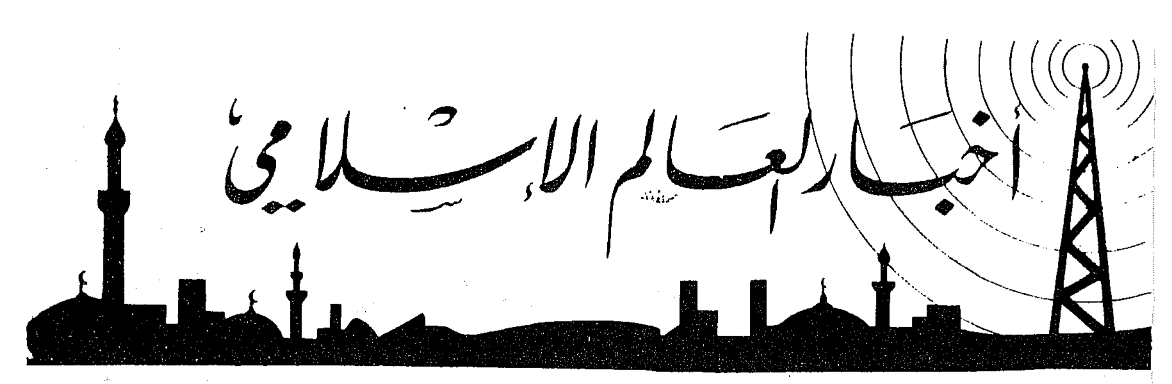
واعقبه الدكتور عبد العزيز كامل فدعا الى عقد مؤتمر عام سنوى للتربية الدينية ، ثم قال ان لدينا امرين **أحدهما** أن نضع سياسة قصيرة الأجل تتصل بالدراسة التى يجب تهيئتها للطالب فى أقرب فرصة ، **وثانيهما** سياسة بعيدة الأجل تقوم على فلسفة شاملة ، تقوم على تعميق المفاهيم الدينية والقيم الأخلاقية .

وبعد ذلك عرض مقررو اللجان الفرعية التوصيات التى انتهوا اليها : فأوصت لجنة الخطة والأهداف والمناهج بعقد دورات تدريبية ، والاتصال بوزارة التعليم العالى لاقتراح تدريس الدين بالجامعات والمعاهد العليا والاستعانة بالتسجيلات الصوتية فى تحفيظ القرآن الكريم . ورفع درجة التربية الدينية فى المرحلتين الاعدادية والثانوية الى ٣٠ درجة . وكذلك باعادة النظر فى مناهج المرحلة الابتدائية . وتعديل بعض موضوعات مناهج المرحلتين الاعدادية والثانوية .

ومما أوصت به لجنة اعداد المعلم للتربية الدينية ، الا يقوم بتدريس الدين بالمرحلة الابتدائية الا المتخرجون من دور المعلمين للشعبة العامة مع الاهتمام باعداد مدرسى المستقبل للتربية الدينية ، وتخريج معلم متخصص للصفين الخامس والسادس مع العناية بمناهج الدين فى دور المعلمين والمعلمات ، وبالنسبة لمدرسى الاعدادى والثانوى أوصت بعدم الفصل بين مادتى اللغة العربية والتربية الدينية مع تخصيص مدرسين أوائل ومفتشين ، وعقد حلقات تدريبية لمدرسى التربية الدينية .

وتناولت توصيات لجنة الكتب الدراسية عدة مقترحات تشمل تعديل بعضها واعادة النظر فى البعض الآخر .

وتضمنت توصيات لجنة النشاط الدينى العمل على تهيئة جو روحى فى البيت والمدرسة . وأن يكون لكل مدرسة مجموعة من الرواد الدينيين . مع محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدروس التربية الدينية ، والتزام الحشمة والوقار فى الزى المدرسى بمدارس البنات . وفتح أبواب بعض المدارس لتحفيظ القرآن الكريم . فى عطلة الصيف مع تخصيص مكافآت مغرية لكل من يحفظ جزءا من القرآن . وأن ترصد المناطق التعليمية مكافآت مالية سخية للطالب المثالى ، والمدرس المثالى فى السلوك الدينى .



أعدها: عبد المعطي بيومي

الكويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم أن الروابط بين ايران والكويت روابط تاريخية متينة ورحب سموه بالتعاون بين البلدين للحفاظ على استقرار وأمن الخليج .

● تبرع سمو الأمير المعظم لمتضررى فيضـــان الفرات بالعراق بمبلغ (١٠٠) ألف دينار من حسابه الخاص .

● قام سعادة وزير الخارجية بجولة فى امارات الخليج كان لها أثرها فى نجاح مؤتمر اتحاد الامارات أخيرا .

● قام الفريق حسن العمرى رئيس وزراء الجمهورية اليمنية بزيارة البلاد ضمن جولة قام بها فى تسع دول عربية لشرح الموقف فى اليمن .

● وافقت الكويت على قبول (٣٠) يمنيا للتدريب فى وزاراتها على أعمال الادارة مع التكفل بنفقات اقامتهم ..

القـــاهرة : شكلت لجنة وزارية لاعادة تنظيم وتدريب الشباب سياسيا ومعنويا وعسكريا من وزراء الحربية والشباب والتربية والتعليم العالى ونائب وزير الاوقاف .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر حاكم ولاية كيرالا الهندية وبحثا معا تدعيم الثقافة الاسـلامية بين الهند والمتحدة .

● افتتح فى القـــاهرة المعرض الثقافى « اعرف عدوك » عرض فيه كل ما كتب عن قضية فلسطين وسيطوف المعرض بالاقاليم .

● أعدت الجامعة العربية الاجراءات اللازمة لتزويد امارات الخليج بمكتبات كاملة تشـمل القضايا العربية الثقافية والاجتماعية والسياسية .

● بعث المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية كاملة لدول افريقيا الاســلامية وجنوب شرق آسيا .

● اجتمع فى القاهرة المجلس الوطنى الفلسطينى لأول مرة بعد تشكيله من كافة المنظمات والهيئات الفلسطينية لوضع الخطط وتوحيد الجهود لتصـعيد العمل الفدائى من أجل تحرير الارض المغتصبة ..

السعودية : استقبل جلالة الملك فيصل القائد العام للجيش الاردنى ..

● قام الأمير فهد بن عبد العزيز بزيارة الى الصــومال ضمن تدعيم الروابط بين البـلدين المسلمين .

● زار البلاد الدكتور لقمان هرون أمين عام الحزب الاسلامى فى اندونيسيا وصرح سيادته أن المسلمين فى اندونيسيا على استعداد تام للمساهمة مع اخوانهم العرب لتحرير فلسطين .

● شكلت لجنة بوزارة الصحة للنظر فى متطلبات شئون الحج للعام القادم .

● تقوم الادارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف بشحن الكتب للمناطق المختلفة دعما للمكتبة المدرسية وفتحا لأبواب المعرفة .

اخبار العالم الاسلامي

العراق : قام الرئيس قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية بزيارة العراق وقد بحث خلال هذه الزيارة وزيرا التربية فى البلدين امكانية فتح فرع لجامعة بغداد فى عدن .

● أقام السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء بزيارة لايران .

● عطلت الحكومة جريدة الثورة العراقية لنشرها نص محاضرة كانت موضع اعتراض لمساسها بالأديان ، وقد عادت الجريدة للظهور بعد اعتذارها وتعهدها بعدم الخوض فى هذه المسائل .

● نفت العراق اشاعة اسرائيلية بسوء معاملة العراق لليهود هناك وكشف خداع اسرائيل للرأى العام العالمى .

الاردن : وسع الفدائيون الفلسطينيون عملياتهم العسكرية ضد اسرائيل وقد تكون المؤتمر الفلسطينى من جميع المنظمات الفدائية .

● صرح السيد بهجت التلهونى رئيس الوزراء أن الجيش فى وضع ممتاز وأن اى مشروع غير قرار مجلس الامن لا قيمة له .

● بلغ عدد النازحين من الضفة الغربية المحتلة حوالى (٤٠٠) الف نازح منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ م .

السودان : صرح السيد على عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية بأن اسرائيل تغذى حركات التمرد فى جنوب السودان وقال ان السودان هو أول بلد افريقى يواجه أضخم نشاط اسرائيلى هدام .

ليبيا : صرح السيد عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء أن ليبيا تقدم أقصى ما فى استطاعتها من عون مادى للدول العربية .

● يزور السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ليبيا فى أواخر يوليو الحالى .

الجزائر : أعلن العقيد هوارى بومدين فى خطاب القاه الشهر الماضى أن على الفلسطينيين أن يقاتلوا ويقاوموا والا يهربوا وينزحوا فى كل مرة يجرى فيها قتال مع اسرائيل .

المغرب : استقبل جلالة الملك الحسن وفدا يمثل الاتحاد الفلسطينى وتبرع له بمبلغ (٢٠٩) جنيه استرلينى سيستخدم لانشاء مدارس للأطفال الفلسطينيين .

تونس : نظم المجلس العالمى للمعالم التاريخية لليونسكو بالتعاون مع المعهد التونسى للآثار ندوة تهدف الى تجديد المعالم التاريخية على الساحل الافريقى والآسيوى للبحر الأبيض .

باكستان : زار الرئيس الباكستانى ايران فى (٢٠) يوليو الماضى كما قام السيد ارشد حسين وزير الخارجية بزيارة لتركيا وايران .

الهند : عقد فى نيودلهى مؤتمر كبير لنصرة فلسطين وقد اتخذ المؤتمر قرارا بالتنديد باسرائيل ومناشدة جميع الدول المحبة للسلام العمل على انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

غيانا : سيعقد فى شهر أغسطس القادم المؤتمر الدولى الذى يقوم بتنظيمه مجمع البعثات الاسلامية لجزر الكاريبى وأمريكا الجنوبية وقد وجهت الدعوة الى كثير من المنظمات والهيئات الاسلامية فى العالم .

اتحاد امارات الخليج

فى ١٠ ، ١١ من ربيع الثانى سنة ٨٨ الموافق ٦ ، ٧ يوليو سنة ١٩٦٨ اجتمع فى « أبو ظبى » المجلس الاعلى لاتحاد امارات الخليج العربى وضم الاجتماع أصحاب السمو حكام : قطر ، دبى ، راس الخيمة ، الشارقة ، البحرين ، ابو ظبى ، أم القيوين ، عجمان ، الفجيرة ..

ومما يذكر أن جلسة الاتحاد السابقة التى انعقدت فى ٢٦ مايو الماضى كان قد شابها شىء من الاختلاف فى وجهة النظر بين الحكام ، مما جعل أشقاءهم العرب فى الكويت والعراق والسعودية والجمهورية المتحدة يبذلون مساعيهم الحميدة للتوفيق بين هذه الوجهات ..

وقد كان لهذه المساعى أثرها الطيب حيث استطاع المجتمعون من الامراء أن يصلوا الى نتيجة اجماعية فى الجلسة الاولى من الجلستين اللتين استغرقهما الاجتماع ، وساد الجميع جو من الأخوة والشعور المتبادل بالحرص على الوصول للهدف الذى يعملون له وينتظره اخوانهم العرب فى كل مكان ..

وقد تلاقت وجهات النظر جميعا على اصدار قرارات تعتبر خطوات أساسية فى قيام الاتحاد وسيره فى طريقه سيرا طبيعيا نحو حياة قوية دائمة ان شاء الله .

و « الوعى الاسلامى » اذ يسرها تلاقى وجهات النظر وزوال شبح الخلاف بين الاخوة الاشقاء ، وتعاونهم فى سبيل الرقى ببلادهم ، ويد الله معهم ترعاهم وتشد أزرهم . ترجو أن يجد القراء على صفحاتها دائما أخبارا طيبة وبناءة عن اتحاد امارات الخليج .

ويسرها ان تكون باكورة أخبارها عن هذه الامارات العزيزة على قلوبنا نبأ نجاح الاتحاد فى اجتماعه هذا ، وبعض القرارات المهمة التى صدرت عنه وهى :

١ — تعيين خبير قانونى لوضع مشروع الميثاق الدائم للاتحاد واختيار الدكتور عبد الرزاق السنهورى لهذه المهمة .

٢ — أن تكون رئاسة الاتحاد دورية بين الامارات وكذلك مكان اجتماعه .

٣ — تشكيل لجنة من ممثلين عن الامارات للبحث فى توحيد النقد والبريد ، وعلم الاتحاد ونشيده وانشاء جريدة للاتحاد .

٤ — تعيين مجلس اتحاد مؤقت برئاسة نائب حاكم قطر وولى عهده الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى .

وقد تقرر أن يعقد المجلس الاعلى جلسته المقبلة فى قطر يوم ٢٠ اكتوبر المقبل .

وفى الكويت ادلى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بأول تصريح رسمى يصدر عن الحكومة قال فيه :

يسرنا ان نستمع الى انباء اتفاق أمراء الخليج العربى على الامور المتعلقة بالاتحاد . وقال : ان هذه خطوة مباركة تهدف الى رفع وتحسين مستوى الشعب وتحقيق الاستقرار فى الخليج العربى لما فيه الخير والمصلحة العامة للمنطقة . والاتحاد دائما قوة .

وان الكويت — كما اعرب صاحب السمو أمير البلاد المعظم — على استعداد دائم لدعم الاتحاد وتقديم كافة ما يلزم له ايمانا بسياستها الحكيمة التى استنتها بتوجيهات قائدنا وأميرنا المفدى ..

وقد اعرب صاحب السمو أمير أبو ظبى عن تقديره للكويت ودورها الفعال والايجابى فى السعى لتحقيق التقارب بين وجهات النظر داخل الامارات .

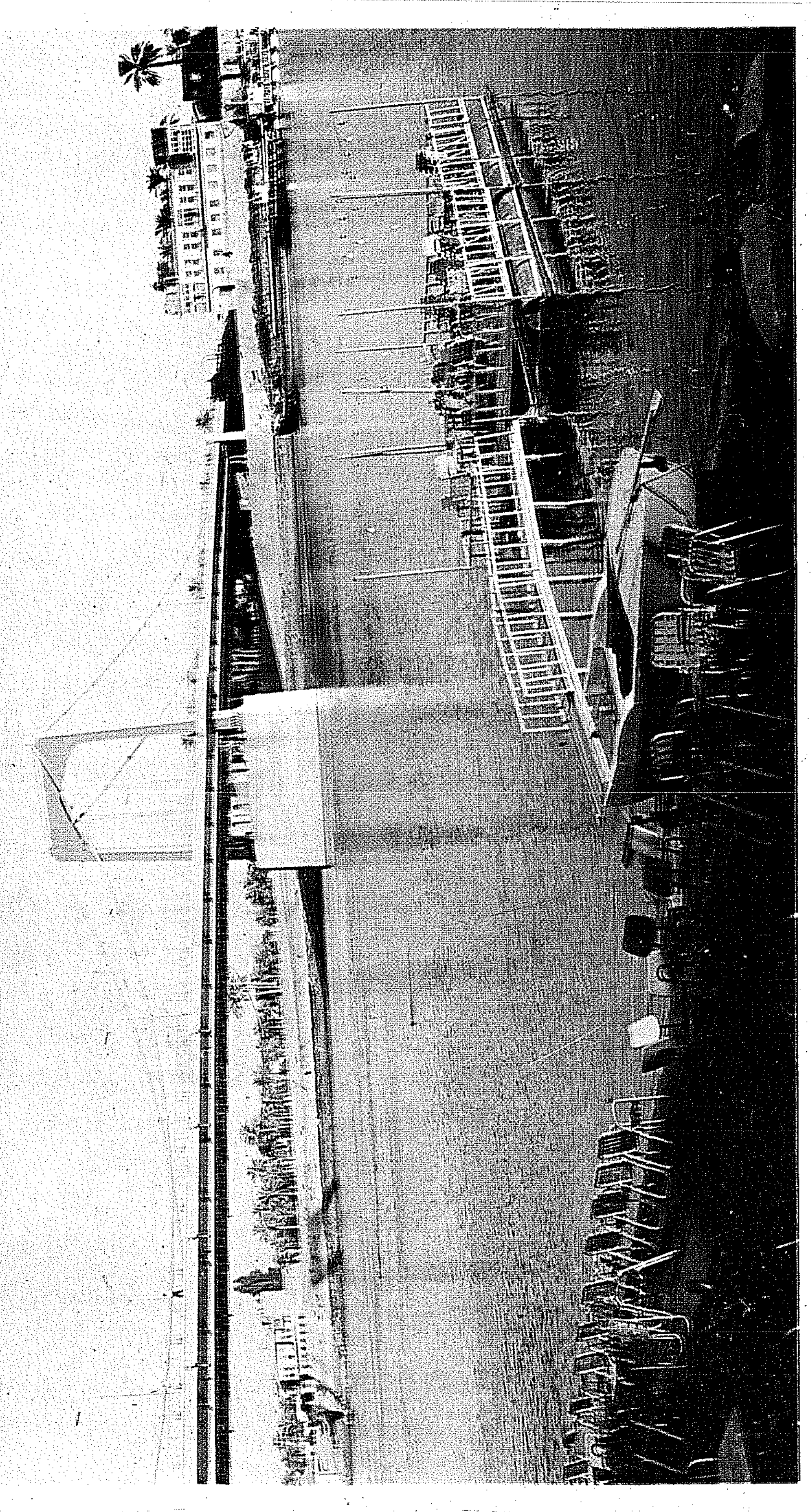
اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص . ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص . ب ٢٤٧٣
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : **١٥٧١**

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



من مناظر بغداد الرائعة (الكوبرى المعلق) على نهر دجلة ..

تصوير : عظمت شيخ